الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارةالتعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أثر الرواية الغربية على الرواية الجزائرية "حارسة الظلال لواسيني الأعرج أنموذجا"

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص أدب جزائري

إعداد الطالبتين

✍ إدريس دريسي

✍ محمد الطاهر إيدر

تحت إشراف الدكتور:

✍ إكرام تكتك

السنة الجامعية 1439/1438هـ-

2018-/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الى منبع الحنان، الى التي برضاها أرجو الجنان * أمي الغالية* . . .

الى س الاجتهاد والكفاح، الى آية العلو والنجاح * أبي العزيز * . . .

الى وردة عمري وترياق همي وبلسم روحي *زوجتي الكريمة* . . .

الى العائلة الموقرة اينما حلت * دريسي * . . .

الى من علموني، ودعموني، الى رفقاء الدرب . . .

أهدي هذا العمل المتواضع.

ادريس دريسي

إهداء

الى من انارت دربي بدعائها وبركتها *أمي الغالية* . . .

الى روح والدي العزيز طيب الله ثراه . . .

الى زوجتي الكريمة وبناتي العزيزات . . .

الى زملائي وزميلاتي في الدراسة والعمل . . .

أهدي هذا العمل المتواضع.

محمد الطاهر إيدر

شكر وتقدير

الى مسددة خطانا . . أستاذتنا الكريمة* اكرام تكتك*

الى أساتذة قسم الأدب وعماله .

الى كل من ساعدنا في انجاز هذا العمل من قريب

أو من بعيد .

قائمة المحتويات

العنوان	الصفحة
إهداء	
شكر وتقدير	
قائمة المحتويات	
مقدمة	أ
مدخل	5
الفصل الأول : ماهية الرواية	9
المبحث الأول : تعريف الرواية	10
المبحث الثاني : الرواية الغربية ومميزاتها	14
المبحث الثالث : الرواية الجزائرية التأسيس والتأصيل	18
الفصل الثاني : علاقة الرواية الغربية بالرواية الجزائرية	23
المبحث الأول : الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع	24
المبحث الثاني : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية	30
المبحث الثالث : مؤثرات الرواية الفرنسية على الرواية الجزائرية	33
الفصل الثالث: مقاربة تطبيقية لرواية حارسة الظلال لواسيني الأعرج	37
المبحث الأول : بطاقة فنية حول رواية حارسة الظلال	38
المبحث الثاني : تجليات الأثر الروائي الغربي على الرواية الواسينية	43
المبحث الثالث : شواهد التأثير بين الرواية الغربية والرواية الوسينية	48
الخاتمة	52
قائمة المصادر والمراجع	55

مقدمة

مقدمة:

ترتكز دراسات الادب المقارن على التاثير الفعلي بين الآداب، ويتجلى تاثير الأدب الغربي على الجزائري في نمطين من الكتابة الأدبية. هما: الرواية والشعر المكتوبين باللغة الفرنسية. فمنذ سنة كتابة ونشر اول رواية مكتوبة باللغة الفرنسية بدأت التأثيرات الفنية تسيطر على الادباء الجزائريين سواء من حيث اختيار اللغة الفرنسية أو باختيار أمناط غربية فرنسية لا عهد للأدب العربي بها، ثم ان جل الروائيين الجزائريين الذين يبدعون باللغة الفرنسية يزاوجون بين كتابة الرواية والشعر المكتوبين باللغة الفرنسية. وقد كانو ينسجون على النموذج والمثال الفرنسي الغربي.

فصدور اول نص سردي للكاتب الجزائري كمال داوود بعنوان:مارسو تحقيق مضاد وترجمته باللغة العربية:معارضة الغريب.من طرف ماريا دويهي وجان هاشم، يؤكد ذلك التاثير الكبير بين الادب الجزائري والأدب الفرنسي الغربي، الا أننا أمام ظاهرة أدبية جديدة تثبت التقليد والمعارضة عوض الاستفادة من التجارب الادبية الفرنسية المتنوعة والنسج على منوالها. وضمن هذا الزخم النظري تبرز الرواية الغربية عموما والفرنسية خصوصا في كتاباتها المختلفة كظاهرة ابداعية تتواصل وتستمر عبر المراحل التاريخية في شكل قطائع فنية وموضوعاتية تجعل من هذا الجنس الادبي ينمو ويتطور في افاق رحبة.

وعلى غرار ما سبق يمكن القول بأن الرواية الجزائرية خاصة والعربية بصفة عامة هي نتيجة أو سليلة الرواية الغربية الجديدة. وهو ما يدفعنا الى التساؤل أو طرح الاشكالية التالية: كيف أثرت الرواية الغربية الجديدة على الرواية العربية وبالخصوص الجزائرية حتى صارت تابعة لها في معظم أجزائها وحيثياتها؟ وأين تجلى هذا التأثر والتأثير؟ وكيف أسهم ذلك كله في تطور وازدهار النص الأدبي؟

وتدخل في اختيارنا لهذا الموضوع عوامل متعددة منها ماهو ذاتي ومنها ماهو موضوعي، ولعل اهتمامنا بمطالعة الروايات والقصص منذ مدة طويلة يعتبر من العوامل الأولى والأساسية في توجهنا نحو الاشتغال بقضايا النثر القصصي والروائي، مما دفعنا الى محاولة الدخول في مغامرة جديدة وهي مغامرة اكتشاف التجربة الروائية الجزائرية المعاصرة في علاقتها بالرواية الغربية بفرنسا على ضوء المثاقفة والتناص.

وبعد بحث طويل توصلنا الى اختيار المنهج البنوي المقارن لمقاربة الموضوع. وبخاصة مفاهيمه الاجرائية في مجال السرديات والتناص كون أن البنوية كتيار نقدي يتفرع الى مدارس متعددة تشكل من خلال الدراسات اللساتية وبالاخص من محاضرات فردناند دي سوسير كما تطور أيضا في حقل النقد الأدبي انطلاقا من اسهامات الشكلانيين الروس، ومن منجزات حلقة براغ التي اصبحت امتدادا لهم فيما بعد. فامتدت أفكار هذه الحلقة الى أوربا الغربية والولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية، والى العالم العربي في أواخر الستينات وبداية السبعينات. أما عن عن المقارن فقد قادنا اتباعنا لهذا المنهج الى الابتعاد عن أساليب النقد العربي التقليدي كون

أن المدارس النقدية المقارنة التقليدية هي مدارس تحاول ان تعالج في دراسة واحدة مجموعة من النصوص والروايات لتصل بها الى نتيجة واحدة محددة قبليا في غالب الاحيان.

وهكذا فان قرائتنا في اطار البحث هي مجرد جهد نقدي يحاول ان يدرس النص الروائي من زاوية جديدة، وتعتبر هذه القراءة المعتمدة هي محاولة لاكتشاف البنية التي تنفرد بها الرواية او النص الجزائري العربي في ظل تاثره بنظيره الغربي.

وعلى هذا الاساس عمدنا الى تحليل نص رواية'' حارسة الظلال'' لصاحبها واسني الاعرج، مع مقارنة وتحليل رواية'' أمريكا اللاتينية'' لصاحبها غابرييال غارسيا ماركيز، وذلك للتمييز بينهما واكتشاف جوانب التأثر والتأثير المسجلة بينهما.

وتدخل القراءة المقارنة بين الروايتين في اطار البحث الفني والمعماري بغية اكتشاف الانساق الادبية المشتركة بينهما والتي تتحكم في العلاقات الداخلية لكل رواية. ومن ثم كيفية توظيف هذه الانساق التي تجعل الاعمال الادبية تتناص وتنزاح عن بعضها البعض.

ولتحقيق هذه الخطوات عمدنا الى توزيع وتقسيم بحثنا الى مدخل تليه ثلاثة فصول فخاتمة. ففي المدخل تعرضنا الى الجنس الروائي وقراءاته المختلفة وكيف احتلت الرواية مكانة مرموقة في فكر الانسان وعقله حتى أنها اصبحت تقريبا أكثر الاجناس الادبية قربا الى واقع الانسان اليومي، وانصب اهمامنا على الرواية الجزائرية التي شكلت رقعة كبيرة من واقع المجتمع الجزائري وحلت مشاكله وهمومه، وأفراحه وأحزانه، وما عايشه جراء تسلط المستعمر الفرنسي الغاشم، وكيف استطاع أن يخرج من ظلمة هذا الواقع وينسج على منوال الغرب ويحاكيهم في أعمالهم وثقافتهم، وكان النموذج المختار لواسيني الاعرج من خلال روايته''حارسة الظلال''.

وفي الفصل الاول كانت نظرتنا حول الرواية بصفة عامة والجزائرية بصفة خاصة، فسجلنا في البداية صعوبة تعريف الرواية ثم انتقلنا الى مختلف التعاريف التي حاولنا الاقتراب منها، وعلى رأسها تعريف باختين للرواية والمنطلقات المنهجية التي تساند هذا التعريف عبر مراحل تميز التطور الفكر لباختين، وكانت قرائته للرواية هي وصفة تحليلة تعتد انجازات مختلف العلوم الانسانية. يليه تعريف هيغل للرواية والذي يعتمد رؤية جمالية مثالية لا ترقى الى مستوى الدلالات المتعددة التي تميز النصوص الروائية.ثم يأتي تعريف لوكاتش للرواية الذي يحاول تعميق التعريف السابق مستفيدا من منجزات الفلسفة الالمانية الكلاسيكية. والمبحث الثاني عنوناه ب الرواية الغربية ومميزاتها وفيه تحدثنا عن الرواية الجديدة وظهورها في الادب الغربي خاصة أروبا وفرنسا. والمبحث الثالث حاولنا فيه التعرض للرواية الجزائرية والامساك باشكالياتها المتعلقة بالتأسيس والتأصل والتوجهات العامة.

الفصل الثاني جاء فيه عرض مقارنة من خلال ابراز علاقة الرواية الغربية بالرواية الجزائرية،وفيه تطرقنا الى ثلاثة مباحث. المبحث الاول أشرنا فيه الى الرواية الجزائرية والواقع المتغير في جميع مراحله منذ السبعينات الى فترة

التسعينات.المبحث الثاني تعرضنا فيه الى الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وكيف عجت الساحة الادبية الجزائرية بالادباء الذين كتبوا باللسانين العربي والفرنسي،ودافعوا عن بلدهم ووطنهم بلغة غير لغتهم. المبحث الثالث تطرقنا فيه الى مؤثرات الرواية الفرنسية على الرواية الجزائرية وكيف تجلت محاكاة الروائيين الجزائرين للروائيين الفرنسيين.

أما الفصل الثالث فهو جانب تطبيقي فيه مقاربة تطبيقية للرواية الجزائرية التي تأثرت بالادب الغربي. واخترنا رواية ''حارسة الظلال'' ل واسيني الاعرج نموذجا. فأخذنا في المبحث الاول بطاقة فنية حول الرواية، وفي المبحث الثاني أشرنا الى تجليات الاثر الروائي الغربي على الرواية النموذج. كما أخذنا في المبحث الثالث شواهد التاثير بين الرواية النموذج''حارسة الظلال'' ورواية ''أمريكا اللاتينية'' لصاحبها غارسيا ماركيز.والتي كشفت لنا مواطن التشابه والاختلاف والتأثير والتأثر بين الروايتين على المستوى المعماري، وفي كيفية تداخل الازمنة وبناء النص الادبي وصولا الى البحث عن التناص.

أما الخاتمة فقد خصصناها للحديث عن مستقبل النقد الجزائري من خلال ما توصلنا اليه من نتائج وخلاصات عن افاق الرواية الجزائرية، وشروط تبلور كتاباتها الجديدة.

ولانظن ان الذي توصلنا اليه بعد، اننا تعرضنا لكل الاشكاليات المتعلقة بأثر الرواية الغربية الفرنسية على الروايى الجزائرية، ولا طرحنا كل الاشكاليات والاسئلة المتعلقة بالموضوع. وانما سعينات من خلال هذا البحث الذي يعتبر مجرد مجهود لا أقل ولا أكثر عن نص روائي ارتبط باختيار الموضوع ارتباطا وثيقا .

والحمد لله الذي وفقنا الى انجاز هذا الموضوع واتمامه مع تشكراتنا الى الاستاذة المحترمة'' اكرام تكتك'' التي رافقت هذا البحث من شكله الاول الى شكله النهائي ونثني على صبرها ودعمها لنا.

ادريس- محمد.ادرار في 03-05-2018.

مدخل

مدخل:

تعتبر الرواية جنسا ادبيا عرف حضورا قويا بين سائر الاجناس الأدبية الأخرى، اذ تملك من الخصائص والمميزات ما يجعلها اكثر الاجناس قربا الى واقع الانسان اليومي. لقد كانت ولا زالت تعبيرا عن الحياة وما اكتنفها من تناقضات كشف عنها بطريقة فنية وجمالية وبسرد يصور علاقة الانسان مع واقعه.

ونحاول في هذا الموضوع الاعتناء بزاوية من زوايا الابداع الادبي في الجزائر وهو "الرواية" . ومحاولة تسليط الضوء على ظاهرة التأثير الغربي في هذا الفن، والذي استطاع ان يحقق تجربة خصوصية في زحمة النصوص ، هذه الرواية التي انعطفت على واقعنا الجزائري بخلخلاتها وهزاتها الاجتماعية دون اهمالها للجانب الفني، فأقبلت كتاباتها مبدعة في اسلوبها ولغتها وتشكيلاتها مع التزامها بقضايا الامة الجزائرية، فعبرت عن معاناة ذاك المواطن الجزائري البسيط والمثقف في فترة عرفت بفترة او حقبة الازمة، راسمة على وجهها المواجهة والبقاء والتحدي صانعة لنفسها مقعدا صلبا في مملكة الادب الجزائري المعاصر خاصة العالمي عامة.

وليس بمقدور احد انكار وجود صلات تأثيرية وتأثرية بين الاداب واللغات اذ سمحت بوجود ما يسمى بعالمية الاداب او الادب العالمي كما عبر عنها الدكتور **محمد غنمي هلال** في مؤلفه الادب المقارن في طبعته الخامسة حيث قال: * عالمية الاداب هو خروج الاداب من حدودها القومية طلبا لكل ماهو جديد*[1]

ولقد كشف لنا التاريخ الادبي عن كثير من النماذج الادبية الناجحة التي استطاعت ان تجسد هذا التأثير والتأثر و التلاقح بين الاداب ، ولأجل ذلك اردنا ان نتتبع هذه الظاهرة ونبرهن على وجودها في الأداب الجزائري الحديث. وخصوصا في أعمال **واسيني الاعرج** من خلال روايته **"حارسة الظلال"** نموذجا، ولعل الدافع من وراء اختيارنا لهذا النموذج هو انه يمثل صورة واقعية لما فرضه المجتمع الغربي الفرنسي على المجتمع الجزائري وأهوال عاشها ابناء الشعب الجزائري مثل تكفير المجتمع المدني والتفكير ببناء خلافة إسلامية والتخلص من جاهلية الحكام والمحكومين. وكيف اثرت هذه الأفكار والأحداث الغربية على هذا المجتمع وجعلته ينهض بهمة وعزيمة قوية من اجل الدفاع عن وطنه وعن هويته ولغته، وحماية جيل أبنائه طيلة عشرية كاملة، صاغها لنا واسيني الاعرج في قالب روائي متحد منسجم يقص حكاية صحفي اسباني اسمه **'فاسكيس دي سيرفانتيس دالميريا'** الذي يدعى **'دون كيشوت'**. والتي صاغها في قلب روائي متحد منسجم ابهر النقاد والمفكرين العرب منهم والغربيين، كون ان روايات (واسيني) عرفت في اسلوبها الحداثي البالغ الاهمية النابع من فكرة التجديد المتمثلة في محاكاة الفن القصصي الأول **"الف ليلة وليلة"** ، والحرص على الحكاية وتأجيجها بالتخييل اندراجا في فضاء خاص.

[1] ليندة بلمباركي، التأثير الأجنبي في كتابات واسيني الأعرج 'حارسة الظلال' حقلا تطبيقيا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في الأدب العربي، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 202-2021 ص 2.

وامتازت روايات (الأعرج) كلها في مرحلتها المبكرة بعدد من السمات منها: "الإمعان الوصفي للمشهدية، والإحاطة بأطراف الحكاية وامتدادها داخل مجتمعها الخاص ،إضافة الى تضمين النص بالحكايات المتداخلة مع الحدث الروائي الأصلي ، والأكثار من اللغة الوصفية الموحية لثقافة الشخصيات الروائية شأنها شأن حارسة الظلال التي امتازت بالإستهلال الذي يغلب عليهالتوضيح العام لمجريات احداث الرواية.

ولعل أهم ما امتازت به روايات (الأعرج) اللجوء الى المتخيل التاريخي، وجعله بناء سرديا قائما على العناصر الفنية للرواية، يقول (عبد الله أبو هيف): "عول الأعرج في تجديد كتاباته الروائية على انفتاح النص إلى تقنيات عديدة، أهمها تحويل السرد الى تاريخ خاص مواز للتاريخ الحاضن للرواية، والمحمول بالمنظور السردي"[1].

وتحدث واسنس الأعرج عن رأيه بعلاقة الرواية بالتاريخ في مقدمة كتاب "شعرية التناص"ل (سليمة عذاوري) موضحا مفهوم التأريخ الذي يلجأ الية الروائي، فيقول:" نقصد بالتاريخ تلك المادة المنجزة والمنتهية التي مر عليها زمن لا باس به، يضمن حدود المسافة التأملية بيننا وبين المادة المعنية..." .ويقول كذالك:"لا يمكننا ان نكتب رواية تتصف بالتاريخية، ونحن نبني كل شيء على الفرضيات...".[2]

ومجمل تلك السمات جعلت روايات (واسيني الأعرج) حاضرة في دراسات الباحثين المهتمين بالأدب الحديث، ففي الجزائر نجد اهتماما كبيرا بأعماله الأدبية كافة، لا سيما الروايات التي كتبت في تسعينيات القرن الما، فقد عمدوا إلتدريس بعضها في جامعاتهم، وتحليل بعضها الآخر في رسائلهم الجامعية المختلفة،كما شاعت دراستها في الكثير من المجلات المختصة بالأدب الجزائري، كما تطرق اليها بعض النقاد المغاربة امثال (سعسد يقطين)، الذي خصص فصلا كاملا من كتابه "الرواية والتراث السردي" لدراسة رواية "تغريبة صالح بن عامر الزوفري"، ومقارنتها مع " تغريبة بني هلال" ويتحدث في مقدمة الدراسة عن مكانة واسيني الأعرج في الأدب فيقول: "واسيني الأعرج من الروائيين الذين الجزائريين القلائل جدا الذين نجحوا من خلال ابداعهم الأدبي ان يتجاوزا حدود الوطن ،ويفرضوا نتاجهم الروائي في مختلف ارجاء الوطن العربي ... ولا شك في أن قراءة انتاجه قراءة نقدية جادة كفيلة بموقعه ضمن الانتاج الروائي العربي الجديد الذي ساهم في اقامته روائيون امثال:عبد الرحمان منيف ونبيل سليمان والغيطاني وصنع الله ابراهيم، وآخرين في مختلف البلاد العربية[3].

أما في المشرق العربي فقد نالت روايات واسيني الأعرج قدرا من الاهتمام بين القراء وبعض الدارسين، لاسيما في مطلع القرن الواحد والعشرين؛ لجمالية اللغة وروعة الاسلوب ، ومن أهم الدارسين الذين اهتموا به بشكل لافت، الناقدة (رزان ابراهيم) التي كتبت الابحاث والمقالات حول رواياته وكانت متابعة لكل ما يصدر عنه.

---

[1] أبو هيف عبد الله، الإشتغال السردي ما بعد الحداثي، مجلة علامات في النقد، العدد54 ،م14،2004م،ص506

[2] ينظر، عذراوي سليمة، شعرية التناص في الرواية العربية، ط1 ، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، 2012م، ص7

[3] يقطين سعيد، الرواية والتراث السردي ،ط1 ،المركز الثقافي الغربي ،بيروت،1992 ،ص49

وفي فلسطين اهتم به الكثير من القراء والمثقفين، وشكل حضوره الى فلسطين لفتة كبيرة من العلام المحلي والعربي والعالمي، لاسيما مجيئه الى مدينتي رام الله ونابلس عام 2013م ، وتقديمه ندوتين حول اعماله الروائية، وقدمه الناقد الفلسطيني (عادل الأسطة) الذي درس روايتين من رواياته : الأولى تحدثت عن صورة اليهود في رواية "سونتا لاشباح القدس" والثاني صورة اليهود في رواية البيت الاندلسي . ولعل هذه الدراسة تأتي في إطار الإهتمام بالأدب العربي الحديث بشكل عام [1].

[1] عبد الكريم قطاف تمام،إشكالية نقل الخصوصيات الثقافية، رواية حارسة الظلال لواسيني الأعرج المترجمة الى الفرنسية نموذجا ،مذكرة ماجيستير في الترجمة ،جامعة منتوري قسنطينة .ص6

الفصل الاول

الفصل الاول : ماهية الرواية

المبحث الأول: تعريف الرواية

المبحث الثاني: الرواية الغربية ومميزاتها

المبحث الثالث: الرواية الجزائرية التأسيس والتأصيل

الفصل الأول: ماهية الرواية :

المبحث الأول : تعريف الرواية :

عندما نقلب صفحات القواميس العربية قصد تحديد مفهوم الرواية نهتدي الى ان هذه اللفظة ترمز الى التفكير في الامر، وتدل على نقل الماء وأخذه، ونقل الخبر واستظهاره. وورد في لسان العرب عن ابن سيده في معتل الياء روي من الماء بالكسر، ومن اللبن يروي ريا، ويقال للناقة الغزيرة هي تروي الصبي لنومه اول الليل ، ويسمى البعير راوية على تسمية الشيء باسم غيره لقربه منه، والرجل المستقي أيضا راوية ...ويقال روى فلان فلانا شعرا اذا رواه له متى حفظه للرواية عنه. وقد قال الجوهري رويت الحديث والشعر فأنا راو في الماء والشعر ورويته الشعر أي حملته على روايته.

وكل هذه المفاهيم للرواية تفيد في مجملها عملية الانتقال والارتواء المادي –الماء– او الروحي –النصوص والاخبار– وكلا النوعين له أهمية في حياة العربي.اذ كان الارتواء المادي لاجله يحلون ويرتحلون وكانت رواية الشعر لازمة لكل شاعر وكانت الوسيلة الأولى لحفظ الاخبار والاشعار والسير.

ان مدلول كلمة الرواية على هذه المعاني ما انفك يفيدنا في شيء لأننا بصدد الحديث عن جنس ادبي حديث. فألزمنا ذلك البحث عن حقيقتها في القواميس الحديثة[1]

بيد ان الرواية أضحت معروفة ،إلا ان هذا التعريف لم يكن هينا نظرا لحداثتها ونضجها المستمر. والى ذلك لمح الدكتور عبد المالك مرتاض قائلا [والحق اننا بدون خجل ولا تردد نبادر الى الرد على السؤال بعدم القدرة على الإجابة][2] والسؤال الذي ابتغاه عبد المالك مرتاض هو ماهي الرواية؟

[1] ابن منظور: قاموس لسان العرب انتاج المستقبل للنشر الالكتروني بيروت اصدار 1.5 عام 1995 برمجة وتنظيم طراف خليل طراف مادة روي نقلا عن طبعة دار صادر بيروت 1990

[2] مفقودة صالح نشأة الرواية العربية في الجزائر التأسيس والتأصيل مجلة المخبر أبحاث في اللغة العربية والاداب الجزائري كلية الاداب والعلوم جامعة بسكرة ص 02

أ / تعريف باختين للرواية:

يرى ميخائيل باختين أن الرواية لم تجد جوابا بعد بسب تطورها الدائم لتحديد مفهومها، ويراها أيضا بأنها جنس ادبي لا يكتمل، وملئ بإمكانيات التحول، يواجه اجناسا أخرى سابقة عليه قد مسها التكلس. والتوت على ذاتها وفقدت إمكانيات الصعود من جديد[1]. وهذا ما يربط بين تاريخ الرواية وتاريخ اللغات الحية. وقراءتهما من جهة وقراءة الاجناس الادبية من ناحية أخرى في علاقتهما مع اللغات الميتة. واضافة الى إمكانية التحول للرواية هناك إمكانية التجدد الذاتي او النقد الذاتي الذي تمارسه الرواية الذي يجعلها مرنة على الأقاليم والاشكال الثابتة، وكأن قانون الرواية هو قانون الحياة الذي يبعث بالقوانين كلها، تسير الرواية مع نفسها ولا ترتاح مع اجناس مزمنة، بدايتها ونهايتها معروفة مما يجعلها تتربع على إقليم طليق غائم الحدود.

والرواية عند باختين جنس ادبي يثير المشاكل يسعى الى الهيمنة على غيره ولا يأتلف الا مع ذاته. فهي جنس غريب المصير ولدت من رحم الادب متأخرة، ولم تتأخر في التفوق عن العالم الذي صدرت عنه، واهتم باختين بشأن الرواية التي تتعدى بالتاريخ الكوني الحديث، فقوامها لن يكون الا امتدادا للزمان الذي جاءت منه وهو الزمن الحافل بالتنوع اذ تتعامل مع الرواية مع الحد الأعلى من الحاضر وتذهب الى المستقبل تاركة الماضي واسئلته .

وبالرغم من صعوبة تعريف الرواية فسنحاول جاهدين لتعريفها باستعراض بعض المفاهيم التي أوردها بعض الدارسين ونذكر :

هي رواية كلية شاملة موضوعية او ذاتية تستمد معارفها وتستعير هندستها من المجتمع، وتفسح مكانا لتتعايش فيه الأنواع والأساليب .

ويذهب باختين أيضا ان الرواية تتميز عن كل الاجناس الأدبية الأخرى بمميزات :

1. اسلوبها ثلاثي الابعاد المروي بصيغة الوعي متعددة اللغات الذي يتحقق فيه .
2. التحويل الجذري للاحداثيات الزمنية للتصورات الأدبية في الرواية، موقع تماس اعلى من الحاضر المعاصر.

ب / **تعريف هيجل للرواية:** انطلاقا من اول نظرية قدمها هيجل[2] للرواية في الغرب، ومن خلال نظريته الفلسفية الجمالية المطلقة اتضح تعريفه للرواية، فهو يرى ان هناك تقارب كبير بين الرواية والملحمة. وهذا

---

1 جورج طراشي ، معجم الفلاسفة المتكلمون ن اللاهوتيون ، المتصوفون [1] 2018 02 27 WWW.ency clopid
10:001arabic

2. فيلسوف الماني 17770 1831 ، ينظر تعريفه في معجم الفلاسفة ، جورج طرباشي ،ص 422

الفن عنده شعر ملحمي لم ينضج ولم يزدهر الا في زمن اليونانيين ' ومن ثمة فهو يعبر عن تلاحم الذات والموضوع في اطار منسجم ومتناغم يعبر عن شعرية القلب والسعادة المطلقة. اما الفن الثاني فهو الفن الروائي الذي اتخذ من السرد النثري وسيلة للتعبير عن انفصال الذات او تشخيص الهوة التراجيدية بين الانا والعالم، فهو يؤكد مدى سرية العلاقات الإنسانية في المجتمع الحديث. فالرواية عنده تشخيص للوحدة المفقودة بين الذات والموضوع، وقد اقر الشخص نفسه بأن الرواية ملحمة بورجوازية، او ملحمة عالم بدون الهة افرزتها تناقضات المجتمع الرأسمالي[1].

يربط هيجل شكل الرواية ومضمونها بالتحولات البنيوية التي عرفها المجتمع الأوربي في القرن التاسع عشر في زمن البرجوازية وقيام الدولة الحديثة. وتتجلى مسيرة العقل عند هيجل في التاريخ بأن هذا الأخير ينقل على مراحل من لاوعي الى وعي، ومن الوعي الى مزيد من الوعي، الى ان يدرك العقل الكلي ذاته، ومن العادي ان تنتقل البشرية من الشعر الى النثر ومن الطبيعي جدا في نظر هيجل ان يظهر الشعر قبل النثر، فهو اقل وعيا منه بما لا يقاس. فالرواية عنده نشأت عن الملحمة ونحن مدينون لهيجل في تسمية الملاحم الحديثة من أمثال: الالياذة، والكوميديا الإلهية ،وفتح القدس بالملاحم الصناعية وهي كلها ملاحم شعرية[2].

قدم هيجل من خلال هذه الملحمات نظرية مهمة بالنسبة لتنظير الرواية خاصة ما يتصل بإبراز الصراع بين الفرد والمجتمع، وجعل فضح الوهم مكونا أساسيا في المحكي الروائي.

ج / تعريف لوكاتش للرواية:

انطلق لوكاتش[3] في تنظيره للرواية مطورا ملاحظات هيجل عارضا في كتابه الشهير "نظرية الرواية" تحليلا لأهم تناقضات العصر الحديث من خلال شكل الرواية وقدرته على التقاط المعيش وتشخيص الكينونة الفاقدة لملجأ التعالي.

ذهب لوكاتش من خلال اطروحته المشهورة الى ان الرواية ليست إلا ملحمة بورجوازية ظهرت على مسرح التاريخ في اعقاب النهضة الأوربية، فالرواية الحديثة عنده ماهي إلا ملحمة في عصر جديد، فالملحمة البورجوازية تحولت الى رواية زمن الثورة الصناعية، فالشعر لايقدر على مجاراة وتيرة السرعة التي تريدها البورجوازية، فالنثر هو الاطوع و الانجع للتعبير عن الحياة البورجوازية المتصفة بالسرعة والتعقيد، فهذه البورجوازية التي فرضت قيمها على المجتمع جاءتنا بتصور عن العالم يختلف عن التصور القديم عند اليونان، فصورة العالم عند البورجوازيين تتألف من قوى مادية ملموسة، فالقوى التي كانوا يزعمون انها مخفية ظهرت

1 حنا عبود ، من تاريخ الرواية ، اتحاد العرب للنشر والتوزيع ،دط ، دمشق 2002 ،ص 07

2 ينظر نظرية هيقل ومسيرة العقل في التاريخ ، من تاريخ الرواية ، مرجع سابق ، ص 08

3 فياسوف وناقد مجري 1855 1971 ، ينظر تعريفه في معجم الفلاسفة ل جورج طرباشي ، ص 600

للعلن وراها الناس[1]، فالبورجوازي لا ينتظر المعجزة بل صار لها صانع بعيد عن فولكان او هارمس او اسكولاليونس.

[1] ميخائيل باختين، الخطاب الروائي ، ترجمة محمد برادة، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، ص11

المبحث الثاني: الرواية الغربية ومميزاتها:

1. ظهور الرواية في الادب الغربي "اوروبا وفرنسا":

لم تعرف الرواية شهرة واسعة باعتبارها جنسا ادبيا ، ولم تعرف الاستقلال وتتميز بوجودها وشكلها الخاص في الادب الغربي والعربي إلا في العصر الحديث، حيث ارتبط مصطلح الرواية بظهور وسيطرة الطبقة الوسطى في المجتمع الأوروبي في القرن الثامن عشر، فحلت هذه الطبقة محل الاقطاع الذي تميز افراده بالمحافظة والمثالية والعجائبية، وعلى العكس من ذلك فقد اهتمت الطبقة البورجوازية بالواقع والمغامرات الفردية ، وصور الادب هذه الرموز المستحدثة بشكل حديث، حيث اصطلح الادباء على تسميته بالرواية الفنية في حين اطلقوا اسم الرواية غير الفنية على المراحل السابقة لهذا العصر، حيث تميز الادب القصصي منذ القديم بسيطرة الطبقة الحاكمة، ولا تمثل القصص المعبرة عن الخدم والصعاليك إلا استثناء لا يمكن القياس عليه[1].

فالسمة البارزة للرواية الفنية انكبابها على الواقع، وعليه فالرواية تبدأ في اوربا منذ القرن الثامن عشر حاملة رسالة جديدة وهي" *التعبير عن روح العصر*" والحديث عن خصائص الانسان، وهناك من يعتبر رواية "دونكشيوت" ل "سرفانتس" اول رواية فنية في اوربا كونها تعتمد على المغامرة الفردية.

اذن فالرواية عند ملاحظتنا نجد انها وليدة الطبقة البورجوازية، وهي البديل عن الملحمة، ولذلك اعتبر هيجل الرواية ملحمة العصر الحديث.

وقد استفاد جورج لوكاتش من هذه الفكرة واعتبر الرواية بدوره ملحمة بورجوازية، فالرواية سليلة الملحمة، واذا كان موضوع الملحمة هو المجتمع فإن موضوع الرواية هو الفرد الباحث عن معرفة نفسه واثبات ذاته وقدرته من خلال مغامرة صعبة وعسيرة[2].

اما في الادب الفرنسي فلم تظهر الرواية ولم تزدهر إلا في القرن الثامن عشر ميلادي ، وكان يطلق على هذا القرن في فرنسا: عصر العقل او عصر التنوير. ففي خلال هذا القرن صب الفلاسفة كبير اهتمامهم على العقل على انه احسن الطرق لمعرفة الحقيقة، وكان معظم الادب فلسفيا يخرجه مفكرون كبار من أمثال: "فولتير" و"دينيس ديدر"و "جون جاك روسو".

وكان فولتير اشهر رجال الادب في عصره، وكان يستخدم مهارته الأدبية لمحاربة الاستبداد والتعصب الاعمى والترويج للعقلانية، وكانت اكثر اعماله شهرة وهي روايته الساخرة بعنوان "كانديد" 1759 وهي اول كتابة روائية

1 مفقودة صالح ، نشأة الرواية العربية في الجزائر التأسيس والتأصيل ، ص 06

2 المرجع نفسه ، ص 07

في هذا العصر، إضافة الى مساعداته المبهرة في تطوير مبادئ الكتابة التاريخية الحديثة من خلال اعماله الكثيرة التي تناول فيها تاريخ اوربا والعالم.

ويعرف "دينيس ديدرو" الى حد كبير لكونه محررا للموسوعة (1751-1772) وهي من اهم الإنجازات العلمية لعصر العقل، وكان هذا العمل يهدف الى ان توضح بطريقة عقلية اخر الاكتشافات العلمية والروائية.

واقترح "جون جاك روسو" تغييرات في المجتمع الفرنسي في روايته "الواز" الجديدة 1761 وفي التعليم في روايته "اميل" 1762، وساعدت سيرة حياة روسو بعنوان: "اعترافات" التي نشرت عامي 1782 و 1789 بعد مماته على بيان دور الادب الحديث في مجال النقد الذاتي، وكانت حساسية روسو نحو الطبيعة قد اعادت ادخال مشاعر من التفكير العميق والشعر في الادب الفرنسي، وتظهر هذه الحساسية بشكل اكبر وبوضوح في روايته "أحلام اليقظة للمتجول الوحيد" 1782.

وهناك عدد اخر من الروائيين والكتاب الذين اسهموا في هذا العصر، فقد كتب "مونتيسكو" روايات نقدية اجتماعية ساخرة في رسائله الفارسية 1721 ، والف "الين رينيه ليساج" رواية ساخرة مشهورة بعنوان "جبل بلاس"(1715-1735)، والف "بريفو" رواية عاطفية محببة الى النفوس بعنوان "مانون لسكوت" 1791 ،وكتب "بيير ماريفو" روايات عن الطبقة الوسطى، كما كتب بعض الهزليات اللطيفة عن مشكلات الحب كما تراها النساء. وكتب "بيير بومارشيه" بعض الهزليات الساخرة مثل:"حلاق اشبيلية" و"زواج فيجارو" 1784 وكلتا الروايتين تعالج طبقة الامتيازات الارستقراطية غير المعقولة، واسهمتا في الأفكار التي أدت الى تكوين الوعي الاجتماعي بضرورة الإصلاح. ثم في اندلاع الثورة الفرنسية (1789-1799)[1].

2. مميزات الرواية الغربية وخصائصها:

إن لوكاتش في معرض حديثه عن الرواية والملحمة يتناول الجانبين: جانب المضمون الذي اشرنا اليه، وجانب الشكل المتمثل في اللغة النثرية بالنسبة للرواية، وفي ربطه بين المرحلة التاريخية وصفات الرواية، يميز لوكاتش بين ثلاث أنماط للرواية الغربية انطلاقا من العلاقة بين البطل والعالم، ثم أضاف نمط رابعا، وهذه الأنماط هي:

1) الرواية المثالية التجريدية: وتتميز بنشاط البطل وضيق العالم مثل رواية "دونكشيوت".
2) الرواية النفسية: ويحدث فيها انفصال بين الذات والعالم الخارجي، اذ يهتم فيها البطل بنفسه.
3) اما النمط الثالث فيقع وسطا بين النمطين او الطرفين السابقين، فاذا كان النوع الأول يمثل انقطاعا او تعارضا بين الذات و العالم الخارجي، والثاني يمثل انفصالا، فإن الصنف الثالث يمثل مصلحة بين الذات الداخلية والواقع الخارجي.

1. بوابة فرنسا ، تاريخ الادب الفرنسي في العصور الوسطى ، الموسوعة العربية الشاملة ، مجلة المعرفة، العدد 1 بتاريخ 13 04 2009 ،

4) وفيما يخص النمط الرابع الذي اضافه لوكاتش فيشير الى التطور الذي عرفته الرواية، ذلك انها في الربع الأول من هذا القرن عرفت تغيير في مركز الثقل، فلم تعد الشخصية مكيفة بواسطة العقدة الروائية، يقول لوسيان غولدمان < من هنا هذا النزوع في الرواية المعاصرة الى اهمال الاتفاق الروائي المحض اعني بطل الرواية فقد تصدعت هذه الشخصية في الادب الحديث ورقت >[1].

ان لوسيان غولدمان يربط بدوره بين المجتمع والرواية، فيشير الى ارتباط الرواية الجديدة بالمجتمع الرأسمالي الذي يختفي فيه دور الفرد فيصير مشغولا بالبحث عن القيم الحقيقية في مجتمع متدهور.

اذن فالانسجام بين الشخصية الروائية والواقع غير موجود، ونلاحظ اهتمام غولدمان بالجانب السيسيولوجي بدرجة أولى[2].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا ان الحديث عن الرواية الغربية يشمل جانبين هما :

*المضمون: ويقصد به تعبير الرواية عن روح المجتمع، وردها لكفاح الانسان في الحياة الجديدة.

*الشكل: ويتعلق أساسا باللغة النثرية التي اعتمدتها الرواية والعناصر الفنية او البنية العامة للرواية،، وقد ميزت المدرسة الشكلانية الروسية في الرواية بين الحكاية والخطاب، فالرواية (histoire)من حيث كونها حكاية تحيل على الواقع وتتشابه مع الواقع المعيش وهي خطاب (recut)حيث تتطلب وجود راو يروي الحكاية لقارئ يستقبلها، اذا فنحن امام طريقة معينة يقدم لنا بواسطتها الاحداث، وفي الوقت الذي اهتم فيه البنيويون ببنية الرواية والتنكر لمرجعيتها في الواقع اهتم أصحاب الاتجاه السوسيو بنائي بالجانبين معا الشكل والمضمون.

هذا بالنسبة الى الادب الغربي الأوربي، اما الادب الفرنسي فمنذ الخمسينات والستينات من القرن العشرين تميز بتطورين رئيسين على مستوى الادب والرواية:

- أما التطور الأول: فكان في ظهور مسرح اللامعقول وقد دأب الكثير من كتاب المسرح في هذه الحركة على محاولة اظهار ما يعتقدون انه طبيعة الحياة التي هي بالضرورة لا معنى لها، وكان "صامويل بيكيت" الايرلندي و"*اوجين يونسكو*" الروماني زعيمي حركة اللامعقول وكان كلاهما يكتب بالفرنسية ،كما كانت اعمالهما المهمة قد ظهرت في مسارح باريس.

12 لوسيان غولدمان ، مقدمات في سوسيولوجيا الرواية ، ترجمة بدر الدين عردوكي ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية سوريت د ط 1965 ،ص 181

2 نشأة الرواية العلربية في الجزائر ، مرجع سابق ، ص 07

- أما التطور الثاني والرئيسي فقد كان " الرواية الجديدة " وكان من اهم ممثلي هذا التطور "الين روب" و"جريليه" و "ميشال بوتور" و "ناتالي ساروت" وكذا "كلود سيمون" وقد ابتعد هؤلاء الكتاب عن الأفكار التقليدية للرواية مثل سرد القصة الواقعي والعقد، وبدلا من ذلك فقد كانت قصصهم تركز على وصف الاحداث والاشياء كما رأتها شخصيات القصة[1].

1 تاريخ الادب الفرنسي ، مرجع سابق

المبحث الثالث: الرواية الجزائرية التأسيس والتأصيل :

I. ظروف نشأة الرواية الجزائرية:

لا ينعزل نشوء وتطور الرواية الجزائرية عن الواقع الاجتماعي والسياسي للشعب الجزائري، كون هذا الفن الأدبي وغيره من الفنون الأخرى لا ينبت في الفضاء، بل لا بد له من تربة خصبة جيد انتاجها، وهو ما يعني النضج والوعي. ولتناول موضوع الرواية لابد من الرجوع الى مرجعيات هذا الجنس الأدبي من ارتباطه بالمشرق العربي والتراث السردي بصفة عامة. ان استعراض الكفاح وتاريخه للشعب الجزائري لأمر شائك لتراكم الاحداث وتشابكها من جهة ولعدم تحليل كامل تاريخ الجزائر من ناحية أخرى.

ولأجل الحديث عن هذا التاريخ النضالي وجب التحدث عن فترتين هما:

- فترة ما قبل الاستقلال
- فترة الاستقلال واستعادة الحرية

فأمر الفترة الأولى يكمن في شكلين من اشكال مقاومة الشعب الجزائري احدهما سياسي والثاني مسلح، فالسياسي بدأ مباشرة عقب الاحتلال وتوقيع الداي حسين على معاهدة الاستقلال في 5 جويلية 1830 حينها حاول حمدان خوجة تكوين اول حزب وطني يعرف بلجنة المغاربة[1]، نشطت الحركة السياسية وتعددت الأسباب في النصف الأول من القرن 20 معتمدة على التيارات الثلاثة الاتية:

- ✓ **التيار الأول:** طالب بتحقيق المسارت بين الأغلبية الجزائرية والأقلية الاستعمارية، ومن الذين نادوا بذلك حفيد الأمير عبد القادر الأمير خالد خلال الحرب العالمية الأولى، ثم طالب التيار بعد ذلك التجنيس والاندماج ونادى بذلك بن جلون وفرحات عباس ثم تطور بعد الحرب العالمية الثانية.
- ✓ **التيار الثاني:** برز بعد الحرب العالمية الأولى ونادى بالاستقلال ممثلا في "نجم شمال افريقيا" ظهر في باريس 1927، وشعار هذا الحزب الاستقلال الوطني والإصلاح الزراعي. وأسسه حاج علي عبد القادر ورئيسه الشرفي الأمير خالد، وفي عام 1932 تغير اسم الحزب الى انصار "جمعية شمال افريقيا" وفي 1934 اخذ اسم "الاتحاد الوطني لمسلمي شمال افريقيا"، وفي 1937 اخذ اسم "حزب الشعب"، وفي

[1] ابو القاسيم سعد الله ، الحركة الوطنية 1930 ، دار الادب بيروت ، 1969 ، ص 35

خضم هذه الأحداث قسم الشعب الجزائري الى ثلاث اقسام انصار مصالي الحاج – انصار اتجاه اللجمة المركزية –—اللجنة الثورية للوحدة والعمل، ومن رحمها بزغت جبهة التحرير الوطني[1].

- ✓ **التيار الثالث**: وتمثل في جمعية العلماء المسلمين 1930، وكان شعارها "الإسلام ديننا العربية لغتنا والجزائر وطننا"[2].

فالمقاومة المسلحة انطقت منذ احتلال الجزائر في شكل ثورات متلاحقة كثورة متيجة ومقاومة الأمير عبد القادر وثورة الفلاحين وغيرهم من الثورات، وانطلاقا من ذلك نشير الى المحطات البارزة في تاريخ الشعب الجزائري وهي:

- ثورة الفلاحين (1871-1916)
- احداث الثامن ماي 1945
- ثورة نوفمبر 1954-1962

والرواية الجزائرية قد ارتبطت بهذه المحطات الثلاث المذكورة، وسنسلط الضوء على هذه المحطات باختصار:

1) **المحطة الأولى**: ثورة الفلاحين(1871-1916) وهي انتفاضة فلاحية احداثها دارت بين فلاحين جزائريين وهم أصحاب الأرض وملاكها مع السلطات الفرنسية التي ضايقتهم بين الفينة والأخرى بزعامة احمد المقراني*، وقد ذمته السلطات الاستعمارية مع الملتفين حوله، فبعد قيام الانتفاضة ظهر *بن قانا* كاتبا لتلك السلطات بأن احمد المقراني قد تمرد، وانه على استعداد لمحاربته. وبعد مقتل المقراني تسلم الشيخ الحداد الزعامة الى غاية 1916، وابان تلك الثورة ظهرت اول بذرة قصصية في الادب الجزائري وهي "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" ل محمد مصطفى بن براهيم الذي صودرت املاكه واملاك اسرته من طرف المستعمر، وقد انعكس ظهور هذه الرواية على نتاج الحملة الفرنسية على الجزائر.

2) **المحطة الثانية**: احداث 8ماي 1945 :مارست فرنسا كل أساليب القهر ضد الشعب الجزائري والقوانين المجحفة التي كانت تبسطها في وجهه، فهذه الانتفاضة كانت نقطة تحول على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي. وتمثل هذا الوعي في خروج الشعب الجزائري في مظاهرة سلمية

---

1 نشأة الرواية العربية في الجزائر ، مرجع سابق ،ص 14

2 عبد القادر جغلول ،تاريخ الجزائر الحديث دراسة سيسيولوجية ، ترجمة فيصل عباس ، مراجعة خليل احمد خليل ، دار الحداثة للطباعة والنشر بيروت، ط2 1982 ، ص129

مطالبا بحقوقه وانصاف دمه وقتلاه في الحرب والوفاء بالعهد المضروب وهو يجر الى الحرب العالمية الثانية جرا، فمن غدر الاستعمار وحقده تصديه لهذه المظاهرات بالقتل والتدمير فبلغ عدد الشهداء 45 الف شهيد. وكان منهم المفكر والعالم والسياسي والعامل لذلك عدت هذه الاحداث اكبر المذابح في تاريخ الشعوب.

3) **المحطة الثالثة**: اول نوفمبر 1954: انصهرت الأحزاب السياسية واتحدت مغيرة أسلوب الحياة والتعامل مع الاخرين وخلال هذه الفترة ظهرت اعمال روائية منها:

الطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي 1951

الحريق لنور الدين بوجدرة 1957

غادة ام القرى لأحمد رضا حوحو

ويعد من مؤسسي الرواية في الجزائر ورغم انتمائه الى جمعية العلماء المسلمين ذات الاتجاه الإصلاحي فهو يحمل طابع سلفيا متخلفا في بنيته الفكرية، فقد أراد من المجتمع البقاء ضمن دائرة الماضي، ومن منعطف هذا التيار الإصلاحي خرج حوحو كاتبا الرواية فضلا عن موهبته الفنية.

وقد اعتبر واسيني الاعرج "غادة ام القرى" اول عمل روائي مكتوب باللغة العربية في الجزائر وقال عنها انها ظهرت كتعبير عن تبلور الوعي للجماهير بالرغم من افاقها المحدودة، فالرواية تعالج قضية المرأة في مكة، واحداثها تصور الواقع نفسه الذي تعيشه المرأة الجزائرية، وقد كتبت قائلا{ الى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب من نعمة العلم من نعمة الحرية الى المرأة الجزائرية اقدم هذه القصة تعزية وسلوى}[1].

فأول شيء حرمت منه المرأة الجزائرية الحب وهو الذي نفسه حرمت منه المرأة المكية من خلال تصوير معاناة الشخصية الرئيسية "زكية" التي تجد نفسها بين أربعة جدران لا لسبب إلا أنها انثى[2].

II. نضج الرواية الجزائرية وازدهارها:

ان التغيرات التي طرأت على البنى السياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت محل استجابة الفنون الأدبية المعاصرة لها، لأن واقعها مربوط بواقع المجتمع وبحركته، واستجابتها للحركة الأدبية العالمية أيضا جعلها تحاول مرارا الخروج عن النموذج الثابت وتجاوز الاشكال التقليدية والتجديد الذي ارتبط بالبحث عن سبل الانفتاح والابداع

1 الاعرج واسيني ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائريين ، الجزائر ،1956 ،ص 38

1 نشأة الرواية العربية في الجزائر ، مرجع سابق ، ص 20

والانسلاخ عن كل موروث، ومن الفنون الأدبية التي استجابت لهذه الحركة، "الرواية" وكان مصطلحها أي الرواية الجديدة اكثر رواجا،

وما يمكن الالتفات اليه في تلك المحاولات التجديدية استمرارية الكتاب في البحث الدائم عن منافذ التجاوز العادي ومخالفة المعروف، يقول *كمال أبو ديب* معرفا الحداثة " بأنها تجاوز الوقع" وهي الثورة على قوانين المعرفة العقلية وعلى المنطق والشريعة وتعني الخلاص من المقدس"[1]، وقد تشكلت في خضم ذلك التحولات التي عرفتها المجتمعات العربية واحتكاكها بثقافة الاخر جل الاعمال الأدبية ،جاءت محملة بما يدل على ذلك الانفتاح الذي عاد عليها بالاضاءات الإيجابية رغم عدم خلوها من مؤثرات سلبية انعكست على الجانب الفكري لكل مجتمع كتلك الخصائص المعبرة عن الذات العربية وجذورها العريقة (اللغة والدين).

ففي التجربة الروائية الجزائرية لمرحلة الثمانينات ظهرت تلك المحاولات ملامسة الواقع الجزائري ومصرة على اختراق السائد السردي من خلال التجريبية الباحثة عن افق حداثي يجعلها في مصاف الرواية العالمية، ومن تلك الاعمال نذكر: اعمال واسيني الاعرج "وقع الأحذية" 1981، "تغريبة صالح بن عامر او نوار اللوز"1983، رشيد بوجدرة "التفكك" 1982. اعمال "لحبيب السايح والجيلاني خلاص ومرزاق بقطاش"، كما عرفت العشرية السوداء نماذج روائية تناولت بطريقتها الخاصة المرحلة بتقنياتها الحديثة وبأسماء جديدة من الكتاب الشباب نذكر منهم عز الدين جلاوجي: الفراشات والغيلان 2000 سرداق الحلم والفاجعة 2000.وبشير مفتي المراسيم والجنائز 1998، ارخبيل الذباب 2000. وفضيلة الفاروق، مزاج مراهقة 1999، تاء الخجل 2000 م.

ومن خلال هذه الاعمال تجدر الإشارة الى ان المقام لا يتسع لذكر محاولات التجديد تتباين تقنيات ممارستها بتباين تكوين الكتاب ومواقفهم ورؤاهم، ولقد عرفت الساحة الإبداعية الجزائرية تجارب مغالية في التجريب، يتداخل فيها التاريخ بالواقع وتتعدد فيها الأساليب والاطروحات الفكرية الثائرة والمتمردة على قيم المجتمع العربي الإسلامي وتقاليده.

ان التجديد والابداع امر ضروري ولا يعني ذلك التنصل من الذات ولا منح الهوية ولا الانفصال فهو نوع من التكيف مع الظروف الجديدة واضافة اللاحق الى السابق، وهو التوافق مع الحداثات التاريخية المستمرة واستكمال لمسيرتها بالذي يتطلبه العصر وتطوراته، والى جانب الدعوة لاستخدام العامية في اللغة الروائية و اهمال قواعد اللغة العربية وجد ان البعض يكسرون قواعد الذوق العام للرواية باستخدام الالفاظ المرذولة الصادمة المبتذلة، ومنهم من دعا الى نوع من التعددية اللغوية، باستخدام الفاظ اجنبية حرصوا على كتابتها بالحرف اللاتيني أحيانا وكتبوها بالحرف العربي أحيانا أخرى[2].

2 وليد قصاب ، الحداثة في الشعر العربي المعاصر ، الامارات العربية ، دبي ،د ط ، ص 187

[2] لغة الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص 9.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

علاقة الرواية الغربية بالرواية الجزائرية

المبحث الأول: الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع.

المبحث الثاني: بين الرواية الغربية والرواية الجزائرية

المبحث الثالث: مؤثرات الرواية الفرنسية على الرواية الجزائرية.

الفصل الثاني: علاقة الرواية الغربية بالرواية الجزائرية:

المبحث الأول: الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع :

ان من الدارسين لفن الرواية من يرى بأن لها جذور و أصول في الادب العربي، ومما يثبت ذلك ما جاء مبثوثا في كتب الجاحظ وابن المقفع ومقامات بديع الزمان الهمذاني والحريري، غير ان البعض يرى ان هذا الفن مأخوذ عن الغرب، وقد سئل الاديب الجزائري الطاهر وطار عن واقع الرواية العربية فقال: "الرواية بالأصل فن لا نقول دخيل على اللغة العربية، وانما فن جديد في الادب العربي اكتشفه العرب فتبنوه مثلما اكتشفوا في بدء نهضتهم المنطق فتبنوه والفلسفة فتبنوها"[1] ومن الدارسين من يرى ان كتاب الطهطاوي تلخيص الابريز في تلخيص باريس مطلع الفن القصصي في الادب العربي الحديث، ثم رواية زينب لمحمد حسين هيكل، قد عدوها ارهاصات اولية لظهور الرواية العربية، وقد اتخذ الباحثون المصريون على وجه الخصوص من مصر مهدا للرواية العربية رغم انتقادات بعض الدارسين كبطرس خلاق في كون رواية زينب فتحا في الادب العربي.

والرواية الجزائرية ليست بمنأى عن نظيرتها في الوطن العربي فجذورها عربية وإسلامية، كصيغ القصص القرآني والسيرة النبوية ومقامات الهمذاني، انطلاقا من أول عمل روائي جزائري هو حكاية العشاق في الحب والاشتياق لمحمد بن براهيم 1849 والطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي1951، مع ان الوجه الفني الذي يمكن تأريخه لزمن تأسيس هذه الرواية اقترن بظهور نص ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة 1971 والحريق لنور الدين بوجدرة1957[2].

1) الرواية الجزائرية والواقع السياسي:

واكبت الرواية الجزائرية الواقع الذي عاشته الامة الجزائرية بمختلف احداثه السياسية ونقلت مختلف التغيرات التي طرأت على المجتمع ومن الملاحظ ان الرواية الجزائرية قد صبغت بصبغة ثورية بخصوص الثورة ضد الاستعمار، كما سايرت النظام الاشتراكي وعايشته في عقد السبعينات، وبعدها دخلت الرواية في مرحلة جديدة كانت ثورة ونضال وانهزام، والوسيلة الأولى والأخيرة للتعبير عن ذلك هي "الكاتب" اذ ينطلق من الواقع الذي عاشه ويعايشه في زمن الازمة فسمي "بأدب الازمة[3]".

---

[1] نشأة الرواية العربية في الجزائر ، مرجع سابق ص 12

[2] المرجع نفسه، ص 15

[3] ادريس بودبية ،الرواية والبنية في روايات الطاهر وطار ، منشورات جامعة منثوري ،قسنطينة ،ط1 ،2000 ،ص50 .51

1) الرواية الجزائرية في فترة السبعينات:

إن نضوج الرواية في فترة السبعينات كما سبق ذكره من خلال اعمال عبد الحميد بن هدوقة مما لا تذره الرياح واللاز والزلزال لطاهر وطار، وإن فترة ما بعد الاستقلال مكن الجزائر من الانفتاح المطلق على اللغة العربية لجأ حينها الروائيون للتعبير عن جغرافية الواقع بكل تهاوديه وتعقيداته وادق تفاصيله، سواء كان ذلك بالرجوع الى زمن الثورة المسلحة او التعمق في الحياة المعيشية الجديدة التي بانت ملامحها جراء التغيرات الجديدة التي مست الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية.

ومما اتسمت به الرواية في هذه الفترة: شجاعة الطرح ،والمغامرة الفنية، وسبب ذلك، الحرية التي ارتمى في كنفها الكاتب تحت تأثير الواقع الجديد والذي تناقض مع الواقع السياسي الاستعماري قبل هذه الفترة، فالكتابة فن لا يزدهر الا في ظل الحرية، فالاضطهاد والقمع يدفعان الكاتب الى اتخاذ مواقف لم يكن ليتخذها لو ان الواقع السياسي كان مختلفا، وقد ترجم هذا الطابع السياسوي الذي انطبعت به النصوص الروائية تركيب ثقافة الرواد الأوائل الذين كان لهم السبق في تأسيس الرواية الجزائرية الحديثة، فهؤلاء الروائيون كانو من جيل الثورة والاستقلال، ولذلك فقد تمتعوا بالحصانة والتجربة في رصيدهم كما قال أبو القاسم سعد الله " رصيد الثورة نضج سياسي وتجربة نضالية"[1]، وقد جمعوا بين الابداع والسياسة ،فبن هدوقة مثلا انتمى الى حزب انصار الديموقراطية وحركة الطلاب الجزائريين بتونس اثناء دراسته، وكما كان منخرطا في حزب جبهة التحرير الوطني، وقد جعل منهم هذا الرصيد روادا فطاحله يملكون بعدا سياسيا للرواية التي نشأت بين أيديهم، فابن هدوقة اسهم بروايته في اثراء الحركة الروائية من حيث مواجهة الحياة ومشاكلها ونشر الوعي السياسي ودفع امال الطبقة الكادحة .ومهما قلنا عن الرواية ومواكبتها الواقع فهي تعبير عن وضع ريفي في بداية السبعينات، اذ يتخبط في وحل من المشاكل والهموم راجيا التغيير الجذري لتلك الحالة، فالطاهر وطار جاءت اعماله لتؤرخ كل التغيرات والتطورات الحاصلة في المجتمع الجزائري بدء من الثورة المسلحة الى غاية الاستقلال، وقد كان للإغراءات الأيديولوجية والفنية التي عرفت بها المدرسة الواقعية الاشتراكية أهمية في جعل اعمال وطار تتميز بنوع من التلقائية والنظرة الشاملة، كما جعلته قادرا على ادراك تلك العلاقة الجدلية بين الفرد وافكاره وافعاله وحياته كلها.

1 شادية بن يحي ،الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع ، مقال ادبي ،منبر حر للثقافة والفكر والادب ،السبت 4 ماي 2013 ، اطلع عليه يوم 4 مارس2018 04 03

إن بعض مضامين النصوص الروائية التي ظهرت في تلك الفترة سارت في فلك الأيديولوجية الاشتراكية المتبناة من ظروف الدولة قصد بناء الدولة الجزائرية الجديدة بعد الاستقلال، فكل مؤسساتها كان لها الفضل في رفع هذا الصرح وساهمت الرواية كجسر ادبي ومؤسسة اجتماعية في بناء مشروع الدولة[1].

2) الرواية الجزائرية في فترة الثمانينات:

شهدت فترة الثمانينات تجارب روائية عديدة لكتاب جزائريين نتيجة التحولات التي حدثت في مجتمع الاستقلال، حيث مثل جيل هذه الفترة اتجاها تجديديا في هذا النمط الادبي الجزائري، ومن جملة هذه التجارب في هذه المرحلة نذكر: اعمال واسيني الاعرج "وقع الأحذية الخشنة" 1981 و"اوجاع رجل غامر صوب البحر" 1983 ورواية ما تبقى من سيرة" لخضر حمروش" سنة 1983 إضافة الى روايات وكتابات الحبيب السايح مثل رواية "زمن التمرد" سنة 1985 واعمال الروائي جيلالي خلاص مثل رواية "رائحة الكلب" 1989 ورواية "حمائم الشفق"1988، كما كتب أيضا مرزاق بقطاش رواية "البراق" سنة 1982 وراية "عزوز الكايرن" سنة 1989، كما اخرج رشيد بوجدرة عدة اعمال روائية نذكر من بينها: رواية "التفكك" سنة 1982 و"المرث" 1984 وطليليات امرة ارق" 1985 و"معركة الزقاق" سنة 1986[2].

وغير هذ من الاعمال والتجارب الروائية التي نادت ودعت الى التجديد والوقوف في التعامل مع قضايا واشكاليات الواقع الجزائري، اذ يرى البعض من أصحاب هذه الاعمال ان في التأصيل السبيل الأمثل لتحقيق الحداثة والتجديد في التجربة الروائية أمثال واسيني الاعرج اما البعض الاخر فقد راى في التجديد عن طريق الاشتغال المكثف على اللغة بتحويلها الى فضاء ابداع وتعقيد السرد السبيل الأمثل القادر على تحقيق المغايرة واكتساب تجارب روائية جديدة، وتجاوز كل ما هو موجود في السرد الروائي، وهذا نجده عند كل من رشيد بوجدرة وجيلالي خلاص وغيرهم.

ان ما يلفت النظر في هذه الفترة هو السعي الجاد من رواد الرواية العربية الجزائرية الى الانخراط ضمن التوجه الجديد في الممارسة الروائية والاستفادة من تقنيات الرواية الجديدة سواء العربية

1 الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع ، مرجع سابق

2 بن جمعة بوشوشة ، التحريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية ، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر تونس ،ط1 ،2005 ،ص 07

منها او العالمية، حيث نشر عبد الحميد بن هدوقة روايته "الجارية والدراويش" سنة 1983 والتي مثلت أضافة نوعية لمسيرته في عمله الروائي.

إضافة الى كل هذه الاعمال الروائية التي ترمي الى احداث التجديد والخروج من المألوف السردي، شهد عقد الثمانينات ظهور عدد مهم من الروايات ذات القيمة المحدودة فكريا وجماليا بسبب عدم امتلاك أصحابها عناصر الوعي والادراك الضرورية لفهم طبيعة تحولات المجتمع الجزائري، ادراك خلفيات ما يعيشه من صراعات وتناقضات زمن الاستقلال، إضافة الى عدم توفرهم على شروط الوعي النظري للممارسة الروائية . ولهذا جاءت نصوصهم الروائية باهتة على صعيد الكتابة وساذجة في التعبير عن الموقف من واقع الجزائري في السبعينات والثمانينات، وما يميزه من مناظر وصور تأزم متأنية من تهافت اشكال الممارسة السياسية للسلطة الحاكمة، فما نلحظه على الكثير من هذه النصوص هو احتفاءها بموضوع الثورة وتمجيدها، وقد تحقق الاستقلال من منظور ذاتي ضخم هذه الثورة وعظمتها الى حد اعتبارها اسطورة، ونزاهة الرجال الذين قاموا بها على كل المذلات والاخطاء الى حد العصمة[1].

هذا ما تعكسه روايات الانفجار 1984 وهموم الزمن الفلاقي 1985 وبيت الحمراء 1986 والانهيار 1986 ورواية زمن العشق والاخطار 1988 وخيرة والجبال 1988 لمحمد فلاح والالواح تحترق 1982 .... وغيرها من النصوص الروائية التي أسهمت في تكريس أيديولوجية السلطة المهيمنة وهو الموقف الذي لم تلتزم به الكثير من التجارب الروائية التي تناولت هي الأخرى ثورة التحرير قبل الاستقلال وبعده من منظور نقدي وهو ما عبرت عنه تجارب الطاهر وطار وواسيني الاعرج ورشيد بوجدرة وجيلالي خلاص ولحبيب السايح وغيرهم من كتاب هذا الجيل الجديد.

3) الرواية الجزائرية في فترة التسعينات:

بعد الازمة التي عصفت بالمجتمع الجزائري خلال السنوات الماضية والتي مست كل طبقات المجتمع اخذت الرواية منعرجا اخر عالج موضوع الازمة واثارها فاتخذت رواية الازمة من المأساة الجزائرية مدارا لها، منها تتولد أسئلة متنها الحكائي وفي احضانها تتشكل مختلف عناصر سردها.

[1] التجريب وحداثة السرد في الرواية العربية الجزائرية ، مرجع سابق ص11

فالإرهاب كان حدثا بشعا في حياة المجتمع الجزائري وقد لا يقاس بالمدة التي استغرقها ولا بعدد الجرائم التي ارتكبها بل بفظاعتها ووحشيتها وكل ذلك لم يمنع الكتاب من تسجيل وقائعها وسرد احداثها فموضوع العنف المعروف عالميا بالإرهاب، كان مدار معظم الاعمال الروائية التسعينية، الا ان هذا العنف لم يكن الطابع الوحيد الذي طبع في السنوات الماضية، اذ لم تكن عشرية الازمة فقط بل كذلك كانت عشرية التحول نحو اقتصاد السوق، وتسريح العمال وإلغاء الانتخابات 1992[1].

واكبت الرواية الجزائرية في هذه المرحلة الجديدة مرحلة التكتلات، وبهذا ظهرت رواية المعارضة كبديل عن رواية السلطة التي فقدت هيبتها بعد احداث 8 أكتوبر 1988، وبذلك فتحت المجال لرواية المعارضة بعد توفر مناخ الحرية الذي افرزه دخول الجزائر مرحلة اختيارات جديدة سواء على المستوى السياسي او الاقتصادي، فزالت سياسة الحزب الواحد وجاءت التعددية الحزبية وقد رافق هذا المعطى السياسي اعتبار حرية التعبير في الدستور حقا من حقوق المواطنة، وبهذا اصبح النص الروائي ملزما بتجديد موقفه مما يحدث، وكما كان الروائي الصوت المعبر عن هموم الجماعة والصادر عن عمقها، كان اول ردود فعله اتجاه ما يحدث هو الوعي بالمأساة الوطنية.

اما عن الاعمال الروائية لهذه الفترة فقد قرأنا العديد من الروايات لمختلف الأجيال والتي تعاطت موضوع العنف السياسي واثاره اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، فالتقى الطاهر وطار في الشمعة والدهاليز مع واسيني الاعرج في سيدة المقام في البحث عن جذور الازمة وفضح الممارسات التي تبعتها، كما جسدها اخرون كإبراهيم سعدي في فتاوي زمن الموت ومحمد ساري في الورم وبشير مفتي في المراسيم والجنائز.

فالرواية في هذه الفترة مرحلة التسعينات، كانت بمثابة شهادة على واقع، وشهادة على حضور ذات المثقف المعذبة في الرواية، فهي تجسد في جميع اوجهها حضور المثقف ومحنته في رواية الازمة، فهي تعتبر بمثابة ثقافة الوطن المجروح، حيث ان ظاهرة الارهاب التي ميزت الكتابة الروائية في عقد التسعينات بدأت الاشارة اليها منذ السبعينات، وجاءت بشكل صريح مع الطاهر وطار

1 ابراهيم سعدي ، الرواية الجزائرية والراهن الوطني ، الخبر الاسبوعي ،العدد 4 ، ديسمبر 1999 ،ص304

في رواية "العشق والموت في زمن الحراشي" اذ تصور الرواية الصراع بين حركة الاخوان المسلمين وبين المتطوعين لصالح الثورة الزراعية[1].

ومن جملة ما يمكن الوصول اليه يكمن في ان الخطاب الروائي السياسي في الجزائر هو وليد الأفكار السياسية والوطنية، اذ واكبت الرواية جل التحولات السياسية الطارئة على المجتمع الجزائري في مراحله المختلفة منذ السبعينات وصولا الى عقد التسعينات الذي كان حافلا بمختلف التطورات والاحداث خصوصا في الميدانين الأمني والسياسي، اما المستوى الادبي فقد عبر بظهور نمط جديد من الكتابة الروائية وهو رواية المحنة او الازمة التي خاض فيها العديد من الروائيين الكبار السالفين الذكر أمثال واسيني الاعرج، أحلام مستغانمي ورشيد بوجدرة، الطاهر وطار، وبشيرمفتي، والى جانب هؤلاء الكتاب المحترفين نجد كتاب جدد كانت لهم تجربة معتبرة في هذا النمط من الرواية ومنهم الروائي الجزائري سفيان زدادقة.

1 الرواية الجزائرية والراهن الوطني ، مرجع سابق ،ص 305

المبحث الثاني: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية:

تعج الساحة الأدبية الجزائرية بالعديد من الدراسات الجديدة الرامية الى استكناه ابعاد النص الروائي سواء المكتوب باللغة العربية او اللغة الفرنسية، والكشف عن الياته الفاعلة وعن حركيته الخصبة مستهدفة الوصول الى فهم اعمق لطبيعة العمل الادبي ولخصائصه التي تميزه عن غيره من اشكال الكتابة المختلفة.

فالرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية واجهت نقدا لاذعا ضرب صميم مبادئها وأسسها خاصة في مجال الادب والثقافة، حيث طال النقد نقاطا عديدة مست الجانب الشكلي والايديولوجي لهذه الرواية، وقد بدأ السجال العنيف بين الأوساط المثقفة طبيعيا أحيانا ومفتعلا متعمدا أحيانا أخرى، ولهذا يجد الباحث نفسه مضطرا الى صياغة بعض الإشكاليات، على الرغم من ان الامر لا يتجاوز كونه إعادة انتاج لها ضمن هذا الحديث النقدي حتى تتوضح رؤية المكتوب الذي يروم ولوج عمله.

فالكتاب الجزائريون من الأصول العربية او القبائلية الذين كتبوا وأبدعوا باللغة الفرنسية ونقصد جيل ما قبل الثورة التحريرية مثل محمد ديب ،مالك حداد ،مولود فرعون، مولود معمري ،كاتب ياسين واسيا جبار..... قد ضاعوا بين تأكيد انتمائهم العربي الإسلامي وبين التشكيك في مقاصدهم العميقة، ولهذا السبب اعتبروا أنفسهم ايتاما منفيين في ضفة فرضت عليهم لكونهم ينتمون الى وطن يعبرون عن واقعهم وما احتوى من هموم ومآسي بلغة غريبة عن اصالتهم وانتمائهم.

وتعتبر دراسة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية من المواضيع التي لا جدل في أهميتها الفكرية والاجتماعية والفنية، وقد لاقت هذه الرواية اهتماما كبيرا رغم انها من المواضيع الشائكة في الكتابات الأدبية القديمة والحديثة، من حيث التشكيك في شرعيتها وانتمائها الوطني وكذا مضامينها.

فالمتلقي للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ينبغي عليه ان يمتلك حسا فنيا طوال رحلة القراءة، والمقصود هنا بالحس الفني هي الخبرة الفنية التي يدخل بها عالم القراء الواعية التي تساعده في إدراك وتفهم ابعاد العمل الفنية والتأليفية والاسلوبية، وذلك قصد الوقوف عند ابعاد الرؤية والاداة لدى هؤلاء الكتاب[1].

ومن المؤكد أن الالمام بهذه المؤهلات المعرفية لا يتهيأ إلا بصفوة النقاد الذين يمتلكون حق الدخول الى عالم هؤلاء الكتاب وفضاءاتهم بكل ما ضمت من مكنونات أنفسهم والكشف عن مقاصد أعمالهم ومدلولاتها وتعدد الرسائل المبثوثة فيها، فهذه الروايات تبدوا في اغلبها واقعية تأسست انطلاقا من واقع المجتمع الجزائري والسياسي والفكري والديني.

1 جبور ام الخير ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، دراسة سوسيو نقدية ، اطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في النقد الادبي الحديث ، جامعة وهران ، مقدمة الاطروحة ص06

I. الكتابات الروائية الفرنسية الأولى في الجزائر:

مزق الاستعمار الفرنسي النسيج الاجتماعي الداخلي للمجتمع الجزائري من خلال سياسة الإلغاء الديني والطبقي والجنسي، واتبعت الإدارة الفرنسية طيلة فترة الاحتلال التي امتدت الى ما يفوق المائة سنة قانون "الافيون والعصا" ويخبرنا التاريخ عن ثورات عديدة تصدت لهذا الدخيل واربكت استقراره كثورة الأمير عبد القادر في سنة (1839-1847) ،فبعد ان الغت فرنسا الهدنة والقت بالعهود عرض الحائط، اخذ الأمير يزعج راحتها في كل مكان تحتله، ففي سنة 1841 عين في منصب الحاكم العام قائد عسكري اسمه بيجو الذي امسك الجزائر بيد حديدية بعيدا عن أساليب السياسة والدبلوماسية والتفاوض واتبع أسلوب التجسس والتنكيل والتقتيل لأبناء الجزائرفهلك في فترة حكمه الاف الابرياء ولجأت فرنسا الى نشر الفتن بين ابناء الشعب الجزائري، وحينها نفي الأمير عبد القادر الى فرنسا عام 1847 بعد ان اضطر للتسليم.

تلت ثورة الأمير عبد القادر عدة ثورات أخرى حاولت الدفاع عن الجزائر وحقوقها كثورة القبائل 1851 وثورة الاوراس 1858 وثورة الشعانبة 1861 ثورة لالة فاطمة نسومر [1]1857، لكن الإدارة الفرنسية سعت بكل قواها الى تثبيت استيطان المعمرين فمع بيجو تحول الاستعمار الى أداة حازمة، تعطي للوافدين الجدد قطعا أرضية للبناء والفلاحة مع منح منحة تشجيعية بالاستقرار، وتغطية مصاريف الإقامة، كما عبدت الطرق وبنت القرى بمساعدة العسكريين، فعمرت الجزائر بأنواع البطالين الذين كانوا منتشرين في فرنسا.

حاولت الاادارة الفرنسية الاستعمارية ان تزرع التفرقة بين افراد الشعب الجزائري ، وبالفعل سعت ال بتر القوى الاجتماعية الفاعلة عبر إحياء الاختلافات التقليدية فيما بينها الامر الذي جعل تلك الاختلافات تنمو الى درجة الصراعات المصيرية التي تهدد الاقلية الجزائرية وهكذا استمرت الحالة في الجزائر على امتداد اربعين سنة بين 1830 .1870 ارضها ساحة حرب ودمار كما وصف المؤرخ الفرنسي "شارل روبير اجيرون"،[2]وتبين للجزائريين طيلة هذه الفترة ان الوعود الفرنسية وعود كاذبة ومغالطات ،فهم دخلوا الى الجزائر لينقلو الحضارة الى هذه الارض وينقلوا المعارف العلمية والثقافية ، وليعلموا أهل البلاد ويثقفوهم ، اكتفوا فقط بتحويل الأرض الجزائرية الى ارض تابعة لفرنسا .

في ظل هذه الوعود المزيفة والتحريفات المغالطة في تاريخ الجزائر وثقافتها تفاجأ الادب الجزائري بظهور مجموعة من المثقفين الجزائريين الذين عبرو بالفرنسية ، وطالبوا في المحافل الادبية بإدماج الجزائري في الفرنسي كمطلب حقيقي ورئيسي ، ومن هؤلاء الروائي : "محمد ولد الشيخ" الذي دعا الى التسليم والعيش تحت الحكم الفرنسي فلا وجود لمواطن عربي .

---

1 ينظر ، حياة شارل اجيرون والتعريف به، عبد الحميد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، مرجع سابق 1986 ص44[2]

فالطبقة الاولى للكتاب الجزائريين المعبرين باللغة الفرنسية كانو معظمهم اساتذة واصحاب وظائف ومهن حرة او من الطبقة الوجيهة في المجتمع او من خيرة القوم وعليتهم ،وهم من خريجي المدرسة الفرنسية ، ومن المناصرين لمبدء الاندماج او الالتحاق بفرنسا والمساوات بالفرنسيين .فإذا نظرنا الى الكتابة النسائية مثلا نجد "ماري لويس عمروش " اول روائية جزائرية بإصدار الياقوتة السوداء سنة 1947 وهي من اصدار دار شارلو ، كتبت هذه الرواية بين سنتي 19350و1937 لكنها لم تنشرها الا بعد عشر سنوات من ذالك التاريخ اي في سنة 1947. ولكون الكاتبة مسيحية فانها تكشف من خلال رواياتها الثلاث الاخيرة على ركيزة الاعتراف كممارسة دينية ، واصدرت الصحفية الرائدة في عالم الصحافة "جميلة دباش" رواية ليلى الشابة الجزائرية

وعند بحثنا عن اول قصة قصيرة كتبها حزائري ،نجد ذالك في سنة 1891 والقاص هو : **محمد بن رحال** (1928.1856) تحت عنوان انتقام الشيخ ، وقد نشرت هذه القصة في المجلة الجزائرية التونسية الادبية والفنية في العدد الثالث يوم 26 سبتمبر – 03 اكتوبر 1891 ، أما أول سلسلة قصصية ، والتي يمكن ان تشكل رواية قصيرة ولكنها لم تجمع في كتاب .فكانت سنة 1912 في صحيفة الحق ،من توقيع **احمد بوري** تحت عنوان: "**مسلمون ومسيحيون**" .

أما أول رواية كتبت باللغة الفرنسية فكانت سنة 1920 للقايد بن شريف [1]، تحت عنوان احمد بن مصطفى قومي ثم تبعت بروايات اخرى ، ففي سنة 1925 اصدر عبد القادر حاج حمو [2] رواية تحت عنوان : زهرة زوجة المنجمي ، وقد اعتبرت هذه الرواية لفترة طويلة هي الأولى في تاريخى الادب الجزائري .

اذن فبين سنة 1919 و 1944 ظهرت ثماني روايات جزائرية، وبين سنتي 1945 و 1951 صدرت ست روايات منها : راية ابن الفقير لمولود فرعون سنة 1950

والى جانب ولد الشيخ نجد بعض الكتاب الجزائريين الذين تغنو بفرنسا وبحضارتها وتمسكو بانتمائها ، اد تحولت صورة فرنسا لديهم وتغيرت قلبا وقالبا ، واصبح في نظرهم المعتدي على الأرض لم يعد كذلك ، بل ظنوا أن حضوره في البلاد كان من اجل الاصلاح والمساعدة ، فكان الكاتب رابح زناتي صاحب رواية بولونوار الشاب الجزائري يقول ان الافضال المادية والمعنوية كلها ترجع لفرنسا .وكتب في مقال عن القضية الجزائرية سنة 1938 ان من حظ كل الجزائريين ان تكون الدولة الاكبر والاكثر حضارة في العالم هي المعلمة ،فهو يدعو الى الفرنسة ، ومنح روح الفرنسية والتفكير الغربي [3].

[1] قايد محمد شريف : من قبيلة اولاد نايل ومن عائلة شريفة حج الى مكة سنة 1913 وشارة في الحرب العالمية الاولى ، توفي بمرض التفويس سنة 1921.

[2] عبد القادر حمو ولد بمليانة سنة 1891 وكان نائب رئيس اتحاد الكتاب الجزائريين .

[3] الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ،مرؤجع سابق ص 36

المبحث الثالث : مؤثرات الرواية الفرنسية على الرواية الجزائرية

اعتمد الأدب المقارن في جل دراساته على التأثير الفعلي بين الاداب ، ومن بين هذه التأثيرات ،تأثير الادب الفرنسي على الادب الجزائري ،ويتجلى ذالك في نمطين من الكتابة "**الرواية والشعر**" المكتوبين باللغة الفرنسية ،وقد نشرت أول رواية مكتوبة باللغة الفرنسية عام 1892 وتجلت حينها التأثيرات الفنية تسيطر على الأدباء الجزائريين سواء من حيث اختيار اللغة الفرنسية او انماط غربية فرنسية لاعهد للأدب العربي بها .والكثير من الروائيين الجزائريين الذين ابدعو باللغة الفرنسية يزاوجون بين كتابة الرواية و الشعر باللغة الفرنسية ، ومما يدل على ذالك التأثير الكبير بين الرواية الجزائرية والفرنسية هو صدور اول نص سردي للكاتب الجزائري **كمال داوود** بعنوان "**مارسو وتحقيق –مضاد**"[1] .

ان الكاتب والروائي الجزائري **كمال داوود** ومن خلال روايته "**الزابور**" أو "**المزامير**" لأكبر دليل على الصلة الوثيقة بين الرواية الجزائرية وتأثرها بالنص الروائي الفرنسي ، ويسعى الكتاب الفرنكفونيين الجزائريون ومنذ سنوات للدفاع عن الإديولوجية الكولونيالية الفرنسية بالجزائر . ولقد انتشر هذا الارتباط الوثيق السالف الذكر بين الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية بعيدا عن الوطن لظروف تاريخية حيث اضطر الروائيون الرواد (**محمد ديب ، مولود معمري ، مولود فرعون ،آسيا جبار..**) قبل الاستقلال لنشر اعمالهم في المركز بعيدا عن سيطرة دور النشر في الجزائر ،التي ارتبطت بالمؤسسة الكولونيالية والتي كانت تروج لأدب الاستعمار رافضة اي نزعة ادبية للسكان الاصلين . ورغم ذالك إلا ان هؤلاء الكتاب كتبوا روايات يرفضون التواطؤ مع الاستعمار ، وظل ارتباط الروائيين الجزائريين بالمركز قائما حتى بعد الاستقلال وكانوا يقاطعون مؤسسة النشر الرسمية في البلاد ، فكتبوا ادبا استنكاريا بدء مع **رشيد بوجذرة** في "**روايته التطليق**" وامتد الى غاية جيل **الطاهر جاووت** برواية "**الباحثون عن العظام**" حيث نما هذا الادب وترعرع في باريس بدور نشر شهيرة مثل: "**لوسوي دو نويل والبان ميشال**"[2] .

وتجلت بوادر التحول حين ترك محمد ديب الكتابة الروائية النقدية ، المرتبطة بخيارات ما بعد الاستقلال مظهرا ميله نحو الكتابة الفلسفية التي تخاطب الانسان ، فقطعت دار النشر **لوسوي** التعامل معه بحجة تراجع رايايته ، مما يجعلة يضطر لنشر ثلاثيته الثانية المعروفة بثلاثية الشمال (سطوح اورسول ،اغفاءات حواء ، ثلوج المرمى) لدى **دار السندباد** . ومما لا يترك مجالا للشك ان دار النشر **لوسوي** إلا ككاتب سياسي وليس كاتبا مبدعا قادرا على ابداع عوالم ادبية متخيلة مثلما فعل محمد ديب في ثلاثية الشمال .

[1] ترجمت الرواية باللغة العربية : معارضة الغريب من طرف ماريا تويهي وجان هاشم .

[2] أحمد بليلة بغداد ، تأثير الرواية الفرنسية على الرواية الجزائرية ، مجلة آفاق للعلوم ، مجلة دولية محكمية تصدر بجامعة زيان عاشور ، الجلفة عدد 7222 2507 ص 01 – 08

شهدت فترة التسعينات تحولا حاسما تمثل في علاقة المثقف بالسلطة في الجزائر ، فمعظم الروائيين " رشيد بوجدرة " وقفو مع السلطة الحاكمة في الجزائر ،ضد صعود التيار الاسلامي المتطرف آنذاك ، وباريس حينها كانت تساند الاسلاميين ، والأمر الذي جعل المؤسسة الثقافية الفرنسية تصب غضبها على بوجذرة فطردته نهائيا من صالوناتها الادبية بسبب تعاطفه مع تصورات نظام الحكم ، ومع العلم ان رشيد بوجذرة قد تخلى عن الكتابة بالفرنسية سنة 1982 وكتب رواية التفكك بالعربية ونشرت بدار ابن رشد ببيروت.

ذهب **الدكتور حميد بوحبيب** استاذ الادب بجامعة الجزائر الى ان الادب الجزائري الحديث ولد من رحم المأسآة الكولونيالية ، فهاجس الآخر سيبقى يسكن الكتابة في الجزائر ، ومما اعتقده ايضا ان كثيرا من هؤلاء الروائيين قد هرولو نحو التكريس والشهرة والصالونات الادبية البارسية ، والصدى الاعلامي في الضفة الاخرى واعجاب النقاد ،فسوق الادب في الغرب اليوم اصبحت مؤسسة شرسة لها آلياتها ومعاييرها ، ويزعم حميد بوحبيب ان هؤلاء الروائيين الذين ترعاهم المؤسسة الثقافية الفرنسية اهتمو بمواضيع الجنس والدين والارهاب والفساد وحقوق الانسان والسياسة [1]. بغية الاسهام في تحرير العقول وتقديم نظرة نقدية ثورية هدفها التحرير من ظلمات القهر والجهل كما كان يفعل الكتاب ياسين ومحمود ديب والطاهر وطار ورشيد بوجذرة . ومن هذا المنظور اصبح بعضهم يكتب كمستشرق منحاز ويعني ذلك استجابته لكل املاءات المؤسسة الشرسة التي هي السوق الادبية الغربية الفرنسية .

أما الروائي محمد ساري فأجاب على احد الاسئلة المطروحة ماذا تنتظر النخب الفرنسية من الكاتب الجزائري الذي يكتب بلغتها ؟ وقال: قرأت مرة مقالا كتبه ناقد واديب فرنسي حول رواية مشقة للعيش للروائي الراحل رشيد ميموني ، يقول فيه بصريح العبارة {اننا لا ننتظر ابداعا من الجزائريين في مجال الشكل الادبي } فالكاتب الجزائري كما اعتقده بعض الفرنسيين كمارسيل بروست و كلود سيمون ان الكاتب الجزائري سيقدم وثيقة على شكل روابة عن بلده .

ويرى محمد ساري ايضا ان الكتاب الجزائريين يبحثون على صورة جديدة للجزائر تنعم حينها بالاستقلال وةما تجسدها رواية قسم البرابرة ل بوعلام صنصال ورواية مرسوا تحقيق مضاد لكمال داوود ، ولا ضير في ذلك فالجزائريون يلجأون الى الاجتهاد بغية العثور على جوانب ايجابية في الفترة الاستعمارية ، مثلما نجد في رواية فضل الليل على النهار ل ياسمينة خضراء ورواية قرية الالمات لبوعلاو صنصال وكذا رواية عبد القادر جمعي حياة الاب لامبير .

[1] حميد عبد القادر ، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة االفرنسية جلد الذات والخضوع للإملاءات ، مقال ادبي ، قناة الجزائر ، بتاريخ 17 اكتوبر 2017 ، اطلع علية يوم 06 03 2018 الساعة 23:00 ليلا.

ومن جهته يعتقد الدكتور ابراهيم صحراوي ان ملامح ما بعد الكولونيالية ما يعرف بالازدواج الوجداني . استعار هذا المصطلح هومي بابا من علم النفس لوصف تأرجح العلاقة بين المستعمر والمستعمرين الرفض والقبول[1].

ان فضاء التأثر والتأثير هو فضاء ثقافي لتلك اللغة الفرنكفونية ، ومراكزه الفاعلة ، فإن ورثة غنيمة الحرب وخضوعهم للامبريالية الثقافية للمحتل لهو تحصيل حاصل يعيق اي تحرر من الرؤى والمقولات الكولونيالية وتأويلاتها للمظاهر الثقافية والحضارية للآخر، وأضاف ابراهيم صحراوي ان الفرنسيين ما زالو يعيشون ويعشقون ما يحبون رؤيته والاستمتاع به التفوق على هذا الآخر اي المستعمر السابق . ولكي نكون امناء وموضوعيين حسب قول ابراهيم صحراوي نضير الى ان خضوع الامبريالية الثقافية للمحتل السابق لا يقتصر على النخب المثقفة باللغة الفرنسية فقط بل يتجاوزها الى النخب المثقفة باللغة العربية في مواقفها من القضايا المطروحة على الساحة . ومن ثم فان اتعادة انتاج مظاهر التنخلف والخضوع هي املاءات ما بعد الكولونيالية مرض اصاب النخب عامة مهما كانت لغة انتاجها الفكري .[2]

[1] الراية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ، مرجع سابق ص78 79

[2] تأثير الرواية الفرنسية على الرواية الجزائرية، مرجع سابق ص08

الفصل الثالث

الفصل الثالث:

مقاربة تطبيقية لرواية حارسة الظلال لواسيني الاعرج

- **المبحث الأول: بطاقة فنية حول رواية " حارسة الظلال".**
- **المبحث الثاني: تجليات الأثر الروائي الغربي على الرواية الواسينية.**
- **المبحث الثالث: شواهد التأثير بين الرواية الغربية والرواية الواسينية.**

الفصل الثالث : مقاربة تطبيقية لرواية حارسة الظلال لواسيني الأعرج

المبحث الأول: بطاقة فنية حول رواية حارسة الظلال:

تعتبر الرواية الجزائرية احدى روافد الرواية العربية ولا سيما روايات واسيني الاعرج التي لا تستقر على شكل ثابت بل تبحث دائما عن التجديد والديناميكية من داخل اللغة التي ليست معطى جاهزا ولكنها بحث دائم ومستمر.

وقد وقع الاختيار على رواية حارسة الظلال لما لها من خصوصيات ثقافية وتاريخية واجتماعية خاصة، تجعل من قارئها يفكر في قرائتها مرات عديدة من دون كلل وملل، فأقل ما يمكن ان يقال عن هذه الرواية انها احدى روائع الادب الجزائري الحديث بل والعربي كذلك.

عندما صدرت حارسة الظلال اول مرة 1996 بباريس باللغة الفرنسية استقبلت بحفاوة نقدية كبيرة مما دفع بالناشر لان يعيد طباعتها عدة مرات قبل ان تصدر في "**سلسلة الجيب**" وبلغات عالمية عديدة.

يقول عنها الروائي الكبير محمد ديب:" إن رواية حارسة الظلال قيمة أدبية لا تخذل قارئها من اول حرف حتى اخر كلمة[1]".

وقد حاولنا ادراج هذا الفصل قبل الولوج في تحليل المدونة لانه لايليق بنا ان نعرج على الجزء التطبيقي مباشرة دون القاء نظرة ولو سطحية بعض الشئ على حارسة الظلال من تعريف بصاحبها وملخصات عن فصولها وكذا سرد ما تقصه الرواية ومستوى اللغة بها الى ان يصل بنا المطاف الى الجوانب التأثيرية التي تحملها في طياتها لتنتهي في الأخير الى عالمية وتاريخية حارسة الظلال.

التعريف بالكاتب والروائي واسيني الاعرج:

واسيني الاعرج من مواليد 1954 بقرية سيدي بوجنان بولاية تلمسان جامعي وروائي يشغل منصب أستاذ كرسي بجامعتي الجزائر المركزية والسوربون الجديدة.

يعتبر أحد أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي،تنتمي أعماله الروائية إلى المدرسة التجريبية التي لا تستقر على شكل واحد. لم يتوقف واسيني الأعرج عن الكتابة منذ نصه الروائي الأول: "**وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البجر**" الذي نشر لأول مرة في دمشق سنة 1981، وأثار اهتماما نقديا كبيرا قبل ان يصدر ببيروت روايته المعروفة "**نوار اللوز**" التي تدرس اليوم في العديد من الجامعات العربية.

[1] عبد لكريم قطاف تمام: إشكالية نقل الخصوصيات الثقافية، رواية حارسة الظلال لواسيني الاعرج المترجمة الى الفرنسية، نموذج مذكرة ماجيستير في الترجمة – جامعة منتوري قسنطينة 2005 2006 ص77

ترجمت بعض أعماله إلى العديد من اللغات الأجنبية من بينها: الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، الإنجليزية، الإسبانية .....

ونستهل بالذكر بعضا من الروايات التي صدرت للكاتب إضافة إلى ما سبق ذكره:

- وقع الأحذية الخشنة "بيروت 1981".
- ما تبقى من سيرة لخضر حمروش "دمشق 1982"
- مصرع أحلام مريم الوديعة "بيروت 1984
- ضمير الغائب "دمشق 1990
- الليلة السابعة بعد الألف: رمل الماية دمشق/الجزائر 1993
- سيدة المقام "ألمانيا /الجزائر 1995
- حارسة الظلال "الطبعة الفرنسية 1996، الطبعة العربية 1999
- ذاكرة الماء "ألمانيا 1997
- مرايا الضرير "باريس الطبعة الفرنسية 1998

***ملخصات فصول الرواية:**

تتكون حارسة الظلال "من ستة فصول وسنلخصها كما جاءت في الرواية كما يلي[1]:

الفصل الأول: يقع تحت عنوان **عائلة الخضر**

*ويتحدث عن مغامرة حسيسن الغريبة التي احتفظ بالجزء المهم منها لنفسه حتى لا يثير الاحاسيس الرهيفة وغضب الاخرين، او بكل بساطة لأنه خائف من عملية اختطاف مدبرة.

كما يروي هذا الفصل قصة وصول دون كيشوت (**فاسكيس دي سيرفانتيس دالميرا**) الى الأراضي التي زارها جده (**ميغيل سيرفانتيس**) قبل ان يندثر هذا الأخير ويتحول الى تربة ،وانجذاب دونكيشوت الطفولي الى قصص "**حنا**" عاشقة الاشواق الاندلسية الضائعة.*

[1] اشكاليات نقل الخصوصيات الثقافية ، مرجع سابق ،ص79

الفصل الثاني: بعنوان **خراب الأمكنة:**

*ما وقع لحسيسن ورفيقه في مفرغة وادي السمار والاسرار الخفية التي كشفها لهما شقيق سارق الآثار المحترف، ويحتوي الفصل كذلك على الرحلة الكاملة التي قام بها دون كيشوت صوب مغارة سيرفانتيس التي اكلتها النفايات وفيلا عبد اللطيف قبل ان يقع الاسر على يد الرجل الغامض والمنكر وراء نظارتين سوداويتين. *

الفصل الثالث: بعنوان **ناس من تبن:**

قصة حسين وهو يكشف جنسا بشريا من نوع جديد من خيش وتبن يشعلون النار ويخافون من حرائقها وضياعه الكبير داخل دهاليز الخوف والموت.

الفصل الرابع: كان عنوانه **العودة:**

*ويتناول هذا الفصل عودة حسيسن الى مقر عمله منهكا وخائبا، والأخبار المتضاربة عن السيد دونكيشوت وتفاصيل قصته مع سيدة الانفاق: **زريد الشيقة** التي رواها له صديقه **كباييروا**. كما يتناول الفصل بالذكر قصة **زكية** السكريتيرة الخاصة لوزير الثقافة. التي لا تتوقف أبدا عن تحريك لسانها الحاد في كل الاتجاهات داخل الجروح المفتوحة و المدماة[1].*

الفصل الخامس: كان تحت عنوان: **كوردلو دون كيشوت:**

*رحلة دون كيشوت (فاسيكس دي سيرفانتيس دالميريا) الخطيرة باتجاه الجزائر مدينة الرماد والخوف و أزاهير الرمل و ما وقع له من الأهوال و المصائب إبان سفرته البحرية و اكتشافه في أعماق الموج المتلاطم للمكان المسمى: "**زفرة سيرفانتيس**" الأخيرة الذي أسر فيه رياس البحر جده الكاتب :**ميغل دي سيرفانتيس**.*

الفصل السادس: تحت عنوان: **رائحة الخوف:**

*ويتحدث عن الوقائع الرهيبة التي حدثت لحسيسن مع وزير الثقافة والإرشاد الوطني وصديقه رئيس جامعة الجزائر الكبرى. كما يتحدث هذا الفصل عن قصة العاشقين مريم ومصطفى الذين انتحرا بسبب أذى **احميدا بوسنادر** ووالده السحار ولم يسلم قبراهما من النبس والخبش.

***ما تحكيه "حارسة الظلال:**

تقص رواية "حارسة الظلال" حكاية صحفي اسباني اسمه "**فاسكيس دي سير دالميريا**" الذي يدعى **دون كيشوت** لما يربطه من تشابه بينه وبين شخصية **دون كيشوت** المبتدعة في رواية "**دون كيخوتة دي لامانشا**"

[1] حارسة الظلال، مرجع سابق، ص 144

العالمية ل **ميغيل سيرفانتيس** حيث ينحدر فاسكيس من نسل هذا الكاتب المشهور الذي زار أقطارا عديدة.ان القي عليه القبض واسر من طرف سفينة تركية في عرض البحر في 26 سبتمبر 1575 واقتيد الى الجزائر اين قضى خمس سنوات سجنا محاولا الفرار ولم يتكمن من ذلك الا بعد دفع فدية، ومن هذا المنطلق بالذات كانت رغبة جامحة تدون في نفس **دون كيشوت** في ان يخوض ذات المغامرة وان يعيش مالاقاه جده في تلك الحقبة الغابرة من الزمن المنسي حيث بقول:

{وكان التحقيق في التفاصيل الحياتية والمدن التي عبرها او عاش فيها جدي هي موضوع مغامرتي.}

ولم يتردد دون كيشوت لما سنحت له الفرصة في السفر على متن سفينة سكر متوجهة الى مرسيليا ومنها الى الجزائر العاصمة التي تعتبر اهم محطة في هذه المغامرة، لكن ما يثير الانتباه والدهشة هو كون وصوله تصادف مع إقرار الجماعات المسلحة بقتل أي اجنبي يقيم بالجزائر او عابر لارضها إلا ان هذا لم يثن من عزيمته اذ كان رهانه الأوحد وفاء لروح والده المتوفي حيث يقول في هذا الشأن:{ مهما يكن فأنا مقتنع بهذه المغامرة لان خياراتي محدودة وانا مجبر على الانتهاء من هذا الرهان على سرفانتيس مهما كلفني الامر، ليس نجرد نزوة ولكنه مشروع حياتي لا يخصني وحدي وفاء لروح المسكين والدي الذي تمنى ان يراني كاتبا كبيرا مثل جدي ولكن للأسف بدون جدوى}.

وهكذا تبدأ مهمته فعلا مع مرشده حسيسن الرواي الموظف بقسم العلاقات الثقافية الجزائرية الاسبانية بوزارة الثقافة الجزائرية الذي حاول تنبيهه الى المخاطر المحدقة به وذلك باطلاعه على ما يرتكب من مجازر في الجزائر من قبل الإرهابيين.

وقد كانت أولى المشكلات عدم عثور دون كيشوت على نزل للإقامة فيه على اعتبار جميع الفنادق ملأى وهو ما يعبر عن حقيقة مرة وحاول حسين اعلامه بها قائلا:

{لا اريد ان ارعبك ولكن يجب ان تعرف الحقيقة، النزل مملوءة حتى الفم بالاطارات والأساتذة والمعلمين والمواطنين البسطاء الذين ينهون الشهر بشق الأنفس،سكان محيط العاصمة الذين وجدو انفسهم تحت تأثير ضغط الاراهبيين ضائعين وسط مدينة لا تشبه أي شيء يبحثون عن سقف لهم ولابنائهم[1].

وعلى هذا الأساس لم يجد حسيسن خيار إلا ان يستضيفه في بيت الجدة **"حنا"** الذي يقيم فيه بعد ان تلقى رسالة تهديد بالقتل.

وفي اليوم الموالي تنطلق رحلتهما فعليا والتي تكشف عن حقائق قاسية ومرعبة بدءا بمفرغة وادي السمار التي ضمت اللوحة التذكارية لسيرفانتس، وعالما خياليا عجيبا تكشف **لدون كيشوت** من خلاله عن مخازن ضخمة

[1] عبد الكريم قطاف تمام، نقلا عن حارسة الظلال، مرجع سابق، ص 82

للأدوية وقطع الغيار ومصانع لتجديد السيارات وتفكيكها، وبورصة الأموال والمصالح التي تسير في الخفاء من قبل أصحاب النفوذ في الدولة ثم المرور بالميناء القديم المكان الذي وضع فيع جده اقدامه لأول مرة وقد تحول الى منطقة عسكرية للبحرية وانتهاء بمغارة سيرفانتيس الوجه المأساوي الذي اصبح امتداد لمزبلة "**حي بلكور**" وسط الجزائر العاصمة وهو المكان الذي اختبأ فيه سيرفانتيس تحضيرا لهروبه المحتمل لكنه أخرج منه رفقة أصدقائه ليقتاد الى الاشغال الشاقة بالسجن ولم يطلق سراحه في النهاية الا بفدية.

***مستوى اللغة في الرواية:**

لا شك في ان اللغة تمثل حجر الزاوية لكل رواية او خطاب ادبي، وأي تغيير يصيبها بسهم في تطوره المرسل والمستقبل معا للخطاب الادبي الذي أساسه نسج اللغة ونشاطها.كما تشكل اللغة الدعامة الأساسية لبناء الرواية، حين تعمل هذه الأخيرة على تصوير شرائح اجتماعية متنوعة تحظى بتفاوت نسبي لمستوى تفكير شخصياتها ونوعية سلوكهم الفردي. فانطلاقا من هذه الرواية تأخذ اللغة الروائية اشكالا متعددة في حارسة الظلال من اسبانية تفوه بها دون كيشوت في بعض المواضيع نحو قوله "May bien¨si señora". وشذرات من اللغة الفرنسية إلى العامية خاصة التي تتفوه بها شخصيات عدة مثل :"حنا، شفيق، الوزير، الجيلالي.." هذا دون ان ننسى العربية الفصيحة التي كانت تمثل المستوى اللغوي الأكثر طغيانا على فصول الرواية.

وهنا نود الإشارة الى ان بعض النقاد أمثال: **عبد الملك مرتاض** يرفضون ان تسف لغة الرواية الى العامية لأنها تشوه بنيتها وتسود وجهها.

كما قد تكون محاولات الإيهام بواقعية الحوارات والتعبير عن تفكير اشخاص الرواية مباشرة مع ما قد تستدعيه المواقف نفسها هو ما دعا الى نحو هذا التوظيف للغة العامية ،و اذا ما تعلق الامر بترجمة الرواية قد يكون المترجم غير واعي كتحول الكاتب الاجنبي من مستوى لغوي فصيح الى مستوى عامي، وفي هذا الشأن يقول محمد عناني[1]: {المترجم الادبي يتعرض الى مشكلة التفسير العويصة عند التصدي للعامية، وكثيرا ما نجد انه يختار ما يمليه عليه فهمه الخاص للنص والذي قد لا يشاركه فيه كثيرون، وإذا تلونت الفصحى برنة العامية أصبح التفسير هو العامل الحاسم في تحديد مسار النص المترجم.}

[1] محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظر والتطبيق، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان 1997 ،ص 68

المبحث الثاني: تجليات الأثر الروائي الغربي على الرواية الواسينية :

"حارسة الظلال نموذجا"

شهدت الرواية الجزائرية في التسعينات تراكما كميا لافتا ساهم في ظهور جيل روائي جديد هو جيل الشباب الذي اقتحم الكتابة الروائية واراد ان يزاحم نصوص جيل السبعينات الذي غابت رموزه وتراجع انتاج بعضه الآخر، غير ان كثيرا من وجوه هذا الجيل الجديد ضلت الطريق عندما ارادت الاستفادة من المحنة الجزائرية بعد ان تابع ادباء هذا الجيل نجاح بعض الروايات التي جعلت من المحنة مدارها، فخرج الروائيون الجدد الى الشارع ناقلين احداثه بعدسات إقليمية مستهلين الابداع الروائي، في حين برع اخرون في المحافظة على أصول الرواية الجزائرية، بل سعوا الى تطورها وازدهارها حين كتبوا وابدعوا باللسان الفرنسي دون ان ينسوا لغتهم الام، فكانت نصوصهم محاكاة للكتابة الروائية الغربية رافضة الإقامة الجبرية داخل فضاء المحنة، تدعوا الى الاشتغال بهموم الفن وشعرية العمل الروائي بعيدا عن سطوة تلك المحن الظرفية التي تمر بها الجزائر كل عقد تقريبا[1].

من هذا المنظور نجد واسيني الاعرج في تجربته الروائية انعطف عن الواقع الجزائري منذ الثمانينات يلاحق محنته وهزاته السياسية والاجتماعية دون ان يهمل الهاجس الفني فجاءت اعماله متجددة في أسلوبها وشكلها ولغتها.

وعند عودتنا الى مجموعة اعمال الاعرج ابتداء بتلك الرواية التي نشرها متسلسلة جغرافية الأجساد المحروقة حتى اخر رواياته المنشورة حارسة الظلال لنجعلها مدار دراستنا تجليات الأثر الروئي الغربي على الروية الواسينية.

والحق اننا فضلنا الاهتمام بهذا النص الروائي حارسة الظلال بالذات لانه مثل حالة استثنائية في مدونة الكاتب من ناحية الظروف المحيطة بتستره من جمهة، ومن حيث بنيته ونسيجه السردي من جهة أخرى.

فقد صدرت رواية حارسة الظلال لأول مرة في ترجمتها الفرنسية قبل ان تصدر في نسختها الأصلية بالعربية، ونتج عن هذه الحادثة متغيرات عدة في مسيرة الكاتب، فحظيت حارسة الظلال باستقبال جيد في الغرب جعل منها منعرجا جديدا في تجربة واسيني الاعرج وطابع خير على بقية نصوصه التي اعتنى بها بعض المترجمين والنقاد في فرنسا واسبانيا وألمانيا وإيطاليا، إلا ان أهم ما لفت انتباهنا فعلا الى هذه الرواية هو انها جمعت تجربة الروائي الجزائري على المستويين الفني والمضموني.

اتضح ان العنوان في رواية واسيني الاعرج قد تغير في بعض الطبعات، ففي الطبعة العربية ورد الكتاب تحت عنوان "**حارسة الظلال**" بينما حملت احدى الطبعات الفرنسية للرواية عنوان:" e ravin de femme sauvage".

[1] سعيد بوطاجين: الرواية غدا ضمن كتاب ملتقى عبد الحميد بن هدوقة الرابع وزارة الاتصال والثقافة الجزائر 2001 ص 38

وتبين أن الروائي كان قد أطلق على روايته عنوان منحدر **السيدة المتوحشة** ثم عوضه **بحارسة الظلال** وبمزيد من النظر في العنوان الجديد اتضح ان واسيني قد اتخذ عبارة **دون كيشوت** في الجزائر عنوانا فرعيا لتلك الرواية وان كان العنوان الرئيسي هو حارسة الظلال فقد أشار الى صلة المتن بأجواء الأسطورة والخرافة فإن العنوان الفرعي قد الى صلة ذلك المتن برواية الاسباني ميشال دي سيرفانتيس وهذا من شأنه ان يدفع القارئ الى تعميق النظر في دلالته الى العنوان الأول ودلالة العنوان الثاني لتحديد علاقتهما بالنص[1].

وقد اتضح كذلك ان الرواية منفتحة بطابعها التناصي على الموروث الشعبي المحلي الجزائري والموروث الروائي الغربي(كارمن لميز ماي ودون كيشوت سيرفانتيس)، ومن ثم فقد اعلنت طبيعة العنوان احدى خصوصيات الكتابة في هذه الرواية في استراتيجية التناص وهذا ما عززته عناوين الفصول التي لمح بعضها الى ما خلفته قراءة واسيني الاعرج لأدب أمريكا اللاتينية من اثر كتابته في صياغة العناوين، فذكرنا عنوان الفصل الثالث مثلا: برواية الروائي القواتيمالي " **ميشال انخل استورياس" ناس من ذرة** والذي حوله واسيني الاعرج الى **ناس من تبن** غير ان الذي شدنا اكثر في صياغة العناوين هو تلك العناوين الفرعية لعناوين الفصول والتي جاءت على شكل فقرات تلخص ما سيأتي في ثنايا تلك الفصول، وقد مكن البحث من التوصل الى ان الروائي حاكى بهذه الفواتيح فواتح الفصول في المدونات التراثية كالكتب الدينية والجغرافية والتاريخية.

ان ظاهرة تأصيل النص الروائي ليست هاجسا من هواجس واسيني الاعرج الرئيسية فقد صدرت له روايات اتخذت الشكل العربي نموذجا لها، لان خصوصية الكتابة عنده لا تستقر حتى تؤسس لنفسها خطابا روائيا مختلفا عماده الادهاش:"ادهاش القارئ".

اما التصدير الذي جاء عبارة للشاعر **أبو لينير** فيبدوا تعبيرا عن الواقع الجزائري الذي ترصده الرواية واقع التسعينات وحالة الانكسار التي عاشها الشعب الجزائري أيام المحنة حتى أطلق على ادب تلك المرحلة **أدب المحنة أوأدب سنين الحمر**.

ان النظر في سيرة أبو لينير تجعلنا نربط تلك العقبة بطبيعة التشكيل الروائي لحارسة الظلال، فأبو لينير كان من كبار المدافعين عن الاتجاه الفني الذي أنشأه و أسسه **بيكاسو وبراك** والذي سمي "التكعيبية"، والتكعيبية هي التي رسخت في الكولاج التشكيلي وجعلت منه فنا متميزا، فهل يوجد هنالك أثر لهذا الفن على النص الروائي الجزائري.؟

[1] كمال الرياحي، من خصائص الكتابة الروائية في رواية حارسة الظلال لواسيني الاعرج ،مقال صحفي، العدد 1،في الاثنين 10 مايو 2010 ،54-15ص 04

هذا السؤال يدعونا الى الانتباه لتوظيف الفنون الجميلة والصحافة في الرواية والذي تكتنفه علامات دالة على توظيف الرواية لتقنيات تلك الفنون مثل عمليات "الكولاج والمونتاج" التي اعتمدها الروائي في استراتيجية فنية شكل بها نصه الإبداعي.

ومن الملاحظ ان المواد التي شملها هذا الأسلوب تمثلت خاصة في النصوص الصحفية، (اخبار، مقالات، تصريحات، خطابات) الى جانب حضور اللوحات التذكارية للمعالم الاثرية ويعتقد القارئ ان اقحام هذه النصوص في العمل الروائي اضفى عليه دينامية سردية متعددة الأوجه، فكانت هذه المواد معطلة للسرد ودافعة له في الوقت ذاته، فحضورها الفضائي على الصفحة عطل السرد وفعل القراءة ، لأن المتلقي يتوقف عن متابعة الاحداث لينشغل بالتأمل في طبيعة تلك النصوص وطريقة اقحامها ومساحات اشغالها كما تطرح عدة أسئلة حول مدى واقعية تلك النصوص وصلاتها بالحقيقية ، فإذا نظر على أنها نصوص حقيقية فإنها تتخذ طابعا وثائقيا يدفع الرواية نحو انفتاح اعمق على الواقع الذي أنتجها فتشتغل كما لو كانت مرآة عاكسة غير ان الوعي بالطبيعة الانتقائية لتلك النصوص جعل الفعل الروائي يبتعد كل البعد عن هذه البراءة، فتتحول تلك النصوص التي اختارها الروائي بكل دقة مؤشرا على خلفية ايديولوجية تسكن النص الروائي.

أما النظر في هذه النصوص المقحمة على انها نصوص شكلها الكاتب على غرار الخطابات الصحفية واللوحات التذكارية فإن العملية ستصبح مجرد خدع تقنية وحيل فنية يتوسل بها الروائي لإيهام المتلقي بواقعتيها من جهة، وتشويه نصه الإبداعي من الداخل من جهة أخرى، وتبين لنا الروائي يتخذها في غالب الوقت ذريعة لتضمين حكايات جانبية من شأنها ان تغني الموضوع الرئيسي وتعمق بعده الدرامي ولا يمكن ان تغفل الإشارة الى ما احدثته نلك النصوص بتنوعها اللساني من حوارية داخل النص الروائي.

وبهذا الانفتاح على اللغة العربية بمستوياتها الفصيحة والعامية، وعلى اللغتين الاسبانية والفرنسية تنوعت الخطابات والأساليب واللغات في الرواية وأمكن لها ان تتحاور في غير تنافر لتؤسس وحدة الأثر الفني.

كما يكن الإشارة الى التناغم الذي حدث بين الفضاء النصي للرواية والفضاء الواقعي الذي تدور فيه الأحداث ، فكلاهما فجرته التقنيات وعنف الخطاب والمتخيل الروائي والثاني فجره واقع الإرهاب وعنف الاحداث التي كانت تعيشها الجزائر في تسعينيات القرن الماضي، تغلغلت تلك التقنيات في ذهن الروائي لتنهض عنده رؤية العالم، ومن ثم فإن الروائي كان ملحا على حضورها عندما رسم تقاطيع المكان الروائي وشكل الشخصيات وضبط الأسماء.

فالمكان في الرواية مكان متشظ ركب من المتنافرات مثلما تعرضت الأشياء التي تؤثثه الى عمليات تحويل وتحرير، وهو ما يدل على هاجس الكولاج الروائي الذي سكن واسيني الاعرج، ويمكن ملاحظته كذلك في رسم

الشخصية الروائية التي تعرضت الى عمليات تقطيع والتقطيع كما وضحنا سابقا يمثل احدى المراحل الأساسية للعملية الفنية التي تسبق فعل الكولاج والمونتاج في كل من الرسم والسينما.

وألصقت أسماء ابطال رواية دون كيشوت لصاحبها سيرفانتس بشخصيات رواية حارسة الظلال في عملية اشبه ما تكون بفن التلصيق"كولاج" كما اشرنا الى مساهمة المونتاج في تحديد النص السردي وترتيب الاحداث فلاحظنا انه شوش نظامها في الحكاية واكسب الرواية طابعا فنيا خرق السيولة الخطية للأحداث وعبر بها بحر العادة الى شاطئ الكتابة التجريبية، تلك الكتابة الباحثة دائما عن آفاق جديدة بعيدا عن التقنيات الزائفة والساعية الى تفعيل دور القارئ في تحريره من وضعية المتلقي السلبي لتورطه في الفعل الإبداعي من خلال المشاركة في انتاج الدلالة والبحث عن اسرار الكتابة، وهذه احدى خصائص الكتابة الروائية عند واسيني الاعرج الذي لا يتردد في وصفها بأنها بحث ابداعي[1].

فرصد استراتيجيته "التناص" أو "ظاهر التضافر النصي" تكشف لنا ان الرواية فتحت على نصين من الموروث الروائي الغربي هما: "رواية دون كيشوت للإسباني ميشال دي سير فانتيس" و"رواية كارمن لمير ماي" ولكن الغالب على الرواية هو تضافرها النصي مع رواية سيرفانتيس وقد حضر التناص في مفهومه الكريستيفي الذي تبناه جيرار جنت في كتابه "طوروس" باعتباره نمط من خمسة أنماط للتعالق النصي، وعرفه بأنه: {حضور فعلي لنص داخل نص اخر عن طريق التضمين اما بشكل ظاهر او خفي كالاستشهاد او السرقة[2]}.

ويمكننا تحسس بعض المقتطفات من رواية دون كيشوت، عمد واسيني الاعرج الى اقحامها في نصه الروائي من دون حذف أو تحوير، وحضرت استراتيجية التناص في شكلها الأكثر تطورا من خلال تلك العلاقة الخاصة التي ربطت النص السابق بالنص اللاحق، فلم يكتف واسيني الاعرج بالتضمين أو الاستشهاد بل نسج على منوال النص الاسباني نصا روائيا اخر من خلال تعمده "المحاكاة" ،غير انه من جانب اخر جعل معارضة رواية دون كيشوت هدفا له فحور في بناء الشخصيات وتصرف في مصائرها معارضا بذلك تلك الصورة التي ظهرت بها في النص السابق فخلص الصحفي "بديل من دون كيشوت" من تعصب سيرفانتيس الديني واكسب "مايا" (بديلة زريد) قوة مكنتها من ان تصمد في وجه الأزمات فتتمسك بدينها ووطنها امام اغراءات الآخر، وبذلك تحولت الرواية الى فضاء للتسامح الديني الذي ينهض معارضا للرواية الاسبانية التي ظلت رهينة الاحاديث التعصبية[3].

---

[1] عبد الله أبو هيف ،حوار مع واسيني الاعرج ،مجلة المعرفة السوري،ة العدد 268 ،ص 131

[2] كريمة موقات وامال كرناف، التناص في رواية أحلام مريم الوديعة لواسيني الاعرج ،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير تخصص ادب جزائري ،جامعة عبد الرحمان بن ميرة ، بجاية، 2013/2012 ،ص 15

[3] كمال الرياحي، مرجع سابق :ص 08

وبمزيد من التأمل في النص الروائي "حارسة الظلال" يمكننا ان نعثر على نصوص أخرى تضافرت مع نص الأعرج فالتفت النقاد اليها بالتحليل والمسائلة مثل رواية الطاهر وطار "الحوت والقصر" ورواية محمد برادة "الضوء الهارب". وبالرجوع الى المتن الروائي للأعرج ننتبه الى شكل اخر من التضافر النصي مثلته تلك العلاقات التي نسجها نصه الروائي موضوع الدرس مع النصوص اللاحقة والسابقة للكاتب نفسه ،فوقفنا عند ما سماه ريكادو: "التناص الخاص" أو "النصية الذاتية" فاكتشفنا كثيرا من عوالم الرواية مبثوث في رواية "وقائع من اوجاع رجل غامر تحت صوب البحر" و"مصرع أحلام مريم الوديعة" و"سيدة المقام" و"المخطوطة الشرقية"، ويكفي ان نشير الى الأثر الذي تركته مريم الوديعة وهو حضورها الدائم في جل اعمال واسيني الاعرج حتى كأنها غدت لازمة روائية الى جانب "دون كيشوت" و"كارمن" و "الموريسكي".

ان استراتيجية التناص مثلت احدى استراتيجيات الكتابة الروائية عند واسيني الاعرج فلا يمكن للقارئ ان يفك شفرة النص إلا بالعودة الى تلك النصوص السابقة والمعاصرة التي استلهمها والتي كان لها بالغ الأثر في خطابه ودلالته، اذ تنوعت أغراض التناص و وظائفه من موقع الى اخر، فمنه ماكان لغاية فنية وجمالية، ومنه ما كان استجابة لاقتناع أيديولوجي وكل له اثره وتأثيره من الناحية اللغوية والفنية والأدبية.

أما فيما يخص المسألة الأجناسية فبدا لنا ان واسيني الاعرج فتح نصه على أنماط وأجناس أدبية متفرعة عن الجنس الروائي ومنها الرواية البوليسية، واستفاد من الاسطورة والخرافة مثلما انفتح النص على جنس اليوميات والسير والتراجم ،ووظف السيرة الذاتية حين اقحم الروائي بعض تفاصيل حياته الشخصية في العمل الروائي، لكن مع ذلك لم تكن تلك التلوينات الاجناسية سوى امارات وعلامات دالة على انخراطه في الجنس الروائي الذي يبقى الجنس الادبي الوحيد القادر على امتصاص الخصائص الفنية للأجناس الاخرى وتوظيفها داخل نسيجه السردي من دون ان يفقد هويته الاجناسية[1].

[1] التناص في رواية احلام مريم الوديعة لـ واسيني الاعرج، مرجع سابق،ص 16.

المبحث الثالث: شواهد التأثير بين الرواية الغربية والرواية الواسينية

كانت رواية امريكا اللاتينية رغم الواقع الذي انتجت فيه ذات خصوصية مميزة أغرت كتاب هذه الرواية باتخاذهم قبلة في تشكيل عوالمهم السردية ، فالتفتوا الى تفاصيل الحياة اليومية والى الموروث الشعبي ومخزون الذاكرة، ليعثروا في ذالك الواقع على خامات جديدة وعدتهم بإرساء عوالم حكائية مغرية لما تحمله من غرابة ودهشة تمخضت عن واقع حضاري مخصوص وواقع اجتماعي وسياسي مأزوم، فكانت رواياتهم روايات ثائرة وحاملة لوعي شديد بقضايا راهن امريكا اللاتينية ناشدة بطابعه الإلتزامي النضالي الكشف عن بشاعة النظم السياسية الديكتاتورية ومآسي المجتمعات المدقعة والمروعة حالهم كحال المجتمع الجزائري الذي عايش نفس المشاكل والويلات والمآسي الديكتاتورية الفرنسية ،وقد مثل هذه الرواية الامريكية كل من :**خوان رولفو** من "المكسيك" **وميقال انجل استورياس** من "قواتيمالا" **وخوليو كورتاثار** من "الارجنتين" و أخيرا **غابريال غارسيا ماركيز** من"كولومبيا".

وان كان بعض النقاد اتفقوا على ادراج روايات **ماركيز** ضمن تيارات الواقعية السحرية فإن نصوص الاخرين وخاصة **أستورياس** ظلت عند عديد من الدارسين أقرب الى التيار السريالي منها الى تيار الواقعية السحرية،ولكن الذي يجمع بين رائيي امريكا اللاتينية على اختلاف انتماءاتهم العرقية وتوجهاتم الفنية هو ذالك الإيمان بالمحلية التي توحدهم وتوحد رواياتهم وتميزها عن غيرها ،وهو ما حقق لهذه الأعمال خصوصيتها وأهلها لإنتزاع مكانة مضيئة في خارطة الادب العالمي ،فكان ادب امريكا اللاتينية والرواية بوجه خاص وجهة وطريق أكثر من الروائيين الغرب الدين تأثرو بعوالمها وبنائها الفني ومن بينها روايات **ماركيز** .

فالروائي الجزائري واسيني الأعرج بحكم ازدواجية لسانه _اتقانه الفرنسية والعربية_ كان أوفر حظا من غيره في الاطلاع على هذه المدونة ،كما كان لإقامته بالمشرق (سوريا) حيث ترجمت هذه الروايات دورا في اطلاعه على تلك الأعمال التي انعكست عوالمها في نصوصه الإبداعية ،فقد وجدت تلك العوالم السحرية صداها في نفس واسني الأعرج وذهنية الطفل التي يحملها بما ترشح به من عوالم الاسطورة والخرافة ،وظهر ذالك التأثير في كثير من أعماله الروائية[1].

وقد لاحظنا هذا التأثر منذ روايته "**نوار اللوز**" التي لونت عوالمها بعوالم مشابهة لعوالم رواية امريكا اللاتينية حتى ان واسيني الاعرج لا يتردد في تحويل عنوان رواية **ماركيز**: "**احتفالات موت معلن**" الى عنوان الفصل الثالث لروايته حارسة الظلال بشيء يسير من التحوير : "**احتفالات موت غير معلن**" .

ويؤكد واسيني الأعرج هذا التأثر حين يقول:" {في منتصف السبعينات اقتربت كثيرا من الرواية اللاتينية خصوصا على يد رواد مثل استورياس وكاربونتي وصولا الى غابريال ماركيز... وهدا التأثر وجد صداه في كتاباتي

[1] كمال الرياحي من أثر رواية امريكا اللاتينية في حارسة الظلال ل واسيني الاعرج ، مجلة الفضاء، العدد 12 السبت 1 كانون الثاني 2005 ، ص1 ، اطلع علية يوم :03 04 2018 الساعة 23:00 .

الروائية }[1]،ويرجع ذالك التأثر الى ما اكتشفه بين الذهنية العربية والدهنية التي تقدمها تلك الروايات لضعوب امريكا اللاتينية ،وهو ما جعلها قريبة من قلبه مقارنة بنظيرتها الاوروبية .

فإستوريوس هذا شخصية بارزة انتزع لنفسه أمكنة عديدة في رواية حارسة الظلال يمكن الاشارة اليها بالدليل الصريح وبتماثل العوالم والأسلوب. فعنوان الفصل الثالث **"ناس من تبن"** مثلما يذكرنا بالتعبير الفرنسي الشهير homme de paille فإنه يذكرنا برواية استوريوس **"ناس من ذرة"** homme de mais غير أن ما يشدنا فعلا الى عوالم الروائي القواتيمالي هو ذالك الصراع الذي يخوضه بطل رواية واسيني الأعرج **(حسيسن)** ضد الجماعة الدينية المتطرفة والمؤسسة للسياسية الفاسدة، فقد ادانت نصوص استورياس استبداد الدكتاتور **كابريرا** الذي حكم قواتيمالا لمدة عشرون سنة استعبد فيها اهلها وأجهز على الحريات ونكل بالمعارضين فعذب الكثير منهم وفر البعض الآخر الى المنافي، وكان **استوريوس** احد هؤلاء الذين طلبو اللجوء السياسي في الأرجنتين، وقد انعكست ملامح هذا النفي في مؤلفاته مثلما انعكست ملامحه في روايات واسيني الأعرج منذ مجموعته القصصية :**"الم الكتابة واحزان المنفى"**.

ويمكن ان نراجع افتتان الأعرج بكتابات استورياس الى ذالك الشبه بين الحكم الديكتاتوري في قواتيمالا، والحكم الشمولي في بني كلبون –كما يسميهم الكاتب– في الجزائر والذين خدمتهم الصدف فاستولو على السلطة وخربو البلاد وجعلو من عاصمتها كل يوم تزحف نحو الموت بخطوات حثيثة.

أما على مستوى الاسلوب فقد استفاد واسيني الاعرج من تقنية تكبير المنظر والتي تعرف في اللغة السينمائية باللقطة الامريكية وتعتبر هذه التقنية احدى اهم خصائص الكتابة الروائية عند استورياس الدي وظفها بشكل كبير في روايته السيد الرئيس و ناس من ذرة ، فيعمد الى تشويه شخصية الديكتاتور استرادا بحيث يبدوا مثيرا للاشمئزاز والسخرية، وقد وظف الاعرج هذه التقنية في وصف الشخصيات التي تمثل السلطة في الرواية، فعمد الى ابراز عيوبها الخلقية والتركيز على ما يجعل منها موضوع للتهكم والضحك، فتحول الوصف الى رسم كاريكاتوري ساخر عمقته تلك التشابيه التي يعمد اليها الراوي عند نقل الصورة. فيقول واصفا :"زكى" ممثل السلطة في مقر الأمن المركزي بالجزائر عندما قصده للسؤال عن صديقة الصحافي الاسباني:{ لم يستقبلني زكي إلا عل الساعة التاسعة والنصف كان غارقا في أوراقه، لا تظهر إلا صلعته التي كان ينعكس عليها الضوء العمودي النازل من السقف، لا أفهم لماذا قصيرو القامة يصرون دائما على المكاتب التي تتجاوزهم.}[2]

ويضيف في موضوع آخر:{عيناه فوسفوريتان كانتا تلمعان كعيني قط وسط هذا الديكور العميق والمغلق.}

[1] ينظر حديث واسيني الاعرج ضمن كتاب الرواية العربية الحزائرية لبوشوشة بن جمعة ، دار السحر تونس ص78

[2] واسيني الأعرج ، حارسة الظلال، مرجع سابق ص109

ولم حارس المبنى من نظرة الراوي الساخرة فيصفه بقوله:{حارس المدخل ... ظل منغرسا في مكانه، مسمرا كالخروبة اليابسة ،ناظرا الي بعينين مدورتين مثل الصولدي المخروق.

تناغمت هذه التقنية مع الاسلوب الساخر الذي ميز الرواية وعمق نفسها النقدي كما مان التوسل بالعامية في وضع تلك التشابيه يجعل المتلقي سيقترب اكثر من الراوي ليشاركه تلك النظرة التهكمية لممثلي السلطة، وهذا الاسلوب من شأنه ان يخفف من ضغط الفضاء المثقل بالخوف والخراب والقمع، ويفتح ثقبا من الضوء في تلك العتمة التي تتحرك فيها الشخصيات وتدور فيها الاحداث.

والحق ان السخرية هي احد مظاهر الكتابة السردية الجزائرية ،عرفها المتلقي منذ زمن طويل في أعمال المعلم الأول احمد رضا حوحو. والسخرية على العموم هي هزل اسود يعمد اليه الراوي المثقف في رواية حارسة الظلال لكمواجهة قمع السلطة وجهلها فتكون الابتسامة بمثابة ضوء الشمعة الدي يكسر ظلمة سواد الواقع اليومي.

وعليه فقد أشار بعض النقاد والدارسين إلى أن أثر الرواية اللاتينية في أعمال واسيني الأعرج يمكن أن تدرج ضمن ما يسمى في السرديات بلاوعي التناص[1].

[1] مقتطف من حوار مع واسني الأعرج بمجلة عمان الثقافية، الاردن، عدد 96 حزيران

خاتمة

خاتمة

يمكن القول ان التجربة الروائية الجديدة في العالم العربي قد بدأت تشق طريقها منذ الستينات أي قبل النكسة بقليل. وقد تعمقت هذه التجربة وتأصلت مباشرة بعد هذا الحدث التاريخي الهام، فكل التجارب الروائية كانت تصب في مجرى واحد وهو الحداثة، جاءت عبارة عن نصوص متفرقة لا تمثل ما يمكن الاتفاق على نعته بالظاهرة العامة او التيار القوي.

ومن ما يستخلص ان الرواية اول ما ظهرت كانت في شكل تجارب جديدة لتشكل خطوة نوعية واضافة قوية للمتن المحفوظ الكلاسيكي الذي يعتبر الاتجاه الاكثر نضجا في مسيرة الرواية العربية. والملاحظ ان الرواية الجزائرية سارت في نفس الطريق، فقد قدمت المراحل الاولى من النكسة محاولات لاستيعاب الاشكال الروائية الغربية من خلال سبكها في واقع اجتماعي وفكري يبحث عن انخراط كلي في عالم الحداثة، وتصدر طليعة الادب العالمي بعد قيامها بعملية قمع التراث النثري.

لكن التجربة الروائية الجزائرية حاولت من جديد ان تمثل التراث من خلال عملية المراجعة والهدم والتجاوز للبناء الروائي التقليدي. وقد حققت هذه التجربة انزياحا جماليا وفكريا عن السائد السردي بتكسير عموديته وتفكيك مادته الحكائية عن طريق تداخل الخطابات والنسج عتى منوال الغير. وقد لعب كل من واسيني الاعرج والطاهر وطار والحبيب السايح... وغيرهم ان يؤسسو معالم في هذه التجربة الروائية الجديدة، وفي تشخيص مميزاتها وفي ترسيخ تساؤلاتها عن واقع يعيش الهزيمة والتراجعات على المستوى العربي العام.

وعلى هذا الاساس تعمقت الدراسات الروائية الجزائرية في التراث النقدي العربي، وسايرته مسايرة المحاكاة والتاثير والتاثر،والموازات للوصول الى رؤية شاملة تتجاوز السطحية والانتقائية والانبهالر بالنظريات الغربية ومن ثم الرقي الى مستوى الاضافة والمساهمة والعطاء، وتمثل في هذا الاطار التجربة الروائية الجزائرية ميدانا خصبا لهذه المجعيات النقدية، شريطة ان نضعها في سياقها الجمالي الجديد المرتبط بتصوير المجتمع العربي وبتاريخه.

فظاهرة التاثير والتاثر موجودة من قبل في الاداب السابقة. لكنها شقت طريقها الى المجتمع العربي عامة والجزائري بالاخصن لنجد كتابا ورواتا عالجو هذه الظاهرة باحترافية ادبية وخبرة عالمية وهو ما يدعو الى التساؤل والحيرة عن كيفية الاقتراب من هذه الظاهرة الادبية الجديدة، ولعله من المفيد التذكير بخطورة السقوط في السهولة والسطحية التي ينتج عنها رفض هذا الانتاج الجزائري جملة وتفصيلا بسبب عدم اتفاقه مع المعايير الفنية المكرسة في الاداب العالمية، كما يمكن الانتصار له أيضا بشكل ايجابي وبالتالي السقوط في الاختزال والتعسف معا.

عالجت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية مواضيع عالمية عرفتها من قبل روايات غربية شهيرة.واستطاعت ان تحقق انتصارا على مستوى السياق الفكري رغبة في النقد المزدوج للذات وللاخر على

مستوى الكتابة الروائية في حضور النظرية النقدية التي تؤرخ للرواية الغربية منذ عصر النهضة الى الآن على المستويات الشعرية والموضوعاتية.

يجب ان تؤخذ هذه النظرية بعين الاعتبار مدى توظيف الرواية الجزائرية للبنيات السردية التراثية والحديثة معا. مما سيجعل الحديث عن الرواية الجزائرية في خصوصياتها النوعية وفي انفتاحها على الثقافة الفرنسية من خلال عمليتي المثاقفة والتناص ممكنا.

مما نتج عن تأثر الادب الجزائري بالادب الغربي هو احداث قطيعة معرفية على مستوى القراءة النقدية، اذ لابد من الاستفادة من نتائج العلوم الانسانية والبحث في مكونات الخطاب الروائي البنوي، ولا يتأتى ذلك الا بتوظيف المفاهيم الاجرائية التي استخلصها الباحثون في مجال الشعرية والسرديات.

وبهذا التوظيف سيتمكن الخطاب النقدي الروائي الجديد بتجاوز الدراسات السيسسيولوجية التبسيطية والمضمونية التي سادت الانتاج النقدي العربي، كما كان الامر يتعلق سابقا بوظيفة الادب لا بطبيعته وبدلالاته المتعددة، وكانت مهمة الناقد التقليدي تنحصر في اصدار الاحكام الايديولوجية والمعيارية التي تختزل النص الادبي الى دلالة واحدة.

وأخيرا يمكن القول أنه من الضروري لدراسة تأثير أو تأثر أدب بآخر على مستوى القراءات النقدية، أن نراجع وعينا الثقافي والنقدي بانتصارنا لموروثنا في هذا الحقل، والاستفادة من الانجازات النقدية على مستوى العالم. ونعتقد مخلصين أنه لا يمكن لتجربتنا الروائية النقدية الجديدة أن تنجح مالم تقدم بارساء مصطلح نقدي ملائم لثقافتنا العربية الجزائرية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة الصادر والمراجع:

أ- الكتب المطبوعة:

1- إبن منظور، لسان العرب، ت طراف خليل طراف، إنتاج المستقبل للنشر الاليكتروني، بيروت، ط15،1995 .

2- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1900-1930، دار الادب ، بيروت،1969.

3- إدريس بودية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة،ط1، 2000.

4- بن جمعة بوشوشة، التجريب وحداثه السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس،ط1، 2005.

5- واسيني الأعرج، حارسة الظلال ، منشورات الفضاء الحر،دط ،الجزائر 2001

6- وليد قصاب، الحداثة في الشعر العربي المعاصر، الامارات العربية المتحدة، دبي، دط دت.

7- زهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة،1975.

8- حنا عبود، من تاريخ الرواية، أمجاد العرب للنشر والتوزيع،دط، دمشق، 2002.

9- يقطين سعيد، الرواية والتراث السرد، ط1 بيروت ، المركز الثقافي العربي ،1992.

10- عبدالمجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

11- عبدالقادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سيسيولوجية،ت فيصل عباس، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت،1982.

12- لوسيان غولدمان، مقدمات في سيسيولوجيا الرواية،ت بدر الدين عردوكي، دار الحوار للنشروالتوزيع، اللاذقية،سوريا،1965.

13- لعرج واسيني، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائريين، الجزائر،1986.

14- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي ، ت محمد برادة، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1987.

ب- المجلات والمذكرات والتقارير:

15- إبراهيم سعدي، الرواية الجزائرية والراهن الوطني، الخبر الاسبوعي، ع ، ديسمبر 1999.

16- أحمد بليلة بغداد، تأثير الرواية الفرنسية على الرواية الجزائرية، مجلة آفاق للعلوم، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ع 7228.

17- بوابة فرنسا، تاريخ الادب الفرسي في العصور الوسطى، الموسوعة العربية الشاملة، مجلة المعرفة، ع1.

18- جبور ام الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سيسيولوجية نقدية، اطروحة دكتوراه في النقد الادبي الحديث، جامعة وهران.

19- حميد عبدالقادر، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، جلد ال\اتوالخضوع للإملاءات، مقال أدبي، قناة الجزائر،2017.

20- سكينة قدور، لغة الرواية الجزائرية، هاجس التغريب وهوس التقريب والتجريب، مخطوط دكتوراه، جامعة الامير عبدالقادر،قسنطينة .

21- عبد الكريم قطاف تمام،إشكالية نقل الخصوصيات الثقافية، رواية حارسة الظلال لواسيني الأعرج المترجمة الى الفرنسية نموذجا ،مذكرة ماجيستير في الترجمة ،جامعة منتوري قسنطينة .

22- كمال الرياحي، من أثر رواية امريكا اللاتينية في حارسة الظلال لواسيني الاعرج، مجلة الفضاء، ع 12، 2005.

23- كمال الرياحي، من خصائص الكتابة الروائية في رواية حارسة الظلال لواسيني الأعرج ، مقال صحفي،العدد1، الإثنين 10 مايو 2016.

24- ليندة بلمباركي، التأثير الأجنبي في كتابات واسيني الأعرج 'حارسة الظلال' حقلا تطبيقيا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف- 2011 2012 .

25- مجلة عمان الثقافية،الاردن، ع 96 حزيران.

26- مفقودة ضالح، نشأة الروايي العربية في الجزائر التأسيس والتأصيل، مجلة المخبر، أبحاص اللغة العربية والادب الجزائري، كلية الاداب والعلوم الاجتماعية، جامعة بسكرة.

27- شادية بن يحى، الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع، مقال ادبي،منبر حر للثقافة والفكر والادب.

ج- المواقع الالكترونية:

28- جورج طرابشي،معجم الفلاسفة موقع اليكتروني 2018 02 27 WWW.ency clopid

10:001 arabic